شما بنت محمد بن خالد آل نهيان

صدى الصحراء

الدار المصرية اللبنانية

صدى الصحراء

بنت محمد بن خالد آل نهيان، شما.
صدى الصحراء / شما بنت محمد بن خالد آل نهيان .– ط1.–
القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 2020.
000 ص؛ 20 سم.
تدمك: 0 – 000 – 795 – 977 – 978
1– ييييييييييي.
أ– العنوان. 000.0
رقم الإيداع: 0000 /2020

©

الدار المصرية اللبنانية
16 عبد الخالق ثروت القاهرة.
تليفون: 23910250 202 +
فاكس: 23909618 202 + – ص. ب 2022
E-mail:info@almasriah.com
www. almasriah.com

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

الطبعة الأولى:2020م

تعبر الآراء الواردة في هذا الكتاب عن آراء المؤلف
وليس بالضرورة أن تعبّر عن آراء الدار

جميع الحقوق محفوظة للدار المصرية اللبنانية، ولا يجوز،
بأي صورة من الصور، التوصيل، المباشر أو غير المباشر، الكلي أو الجزئي، لأي مما ورد في هذا المصنف، أو نسخه، أو تصويره، أو ترجمته أو تحويره أو الاقتباس منه، أو تحويله رقميًّا أو تخزينه أو استرجاعه أو إتاحته عبر شبكة الإنترنت، إلا بإذن كتابي مسبق من الدار.

د.شما بنت محمد بن خالد آل نهيان

صدى الصحراء

الدار المصرية اللبنانية

إهداء

إلى وطني الإمارات
نتنفس صدى صحرائك، فيتوهج الحرف
بك ولك

المقدمة

تظل الكلمة مسكونة بكل معارف الإنسانية حين تغيب في تاريخ الحياة وتعود تتفتح عند مرافىء العقول الباحثة وراء المعرفة.. في تلك اللحظات التي تدق باب العقل أفكار شتى، تتوالد من علاقة متوترة ما بين الحياة والعقل.. علاقة يسكنها السؤال لنغوص وراء معاني الحياة، وندرك مفاهيم الأفكار التي تعيشها البشرية منذ أن خطى آدم خطوته الأولى في الصحراء.. ولأن الكلمة كانت دليلي في رحلتي مع الحياة، منذ اللحظة الأولى التي أدركت فيها شكل الحرف وعلاقته بالحروف الأخرى، وتفتح عقلي على المعرفة، وصار الكتاب رفيقا في دربي نحو بناء الذات وإدراك الحياة، وعبر رحلة طويلة ما بيني وبين حكايا الصحراء، التي تسكن تأملاتي في الكون والحياة، جمعت تلك الأفكار التي أسكنتها مقالات كتبتها في الصحف المختلفة ومحاضرات قدمتها للناس، ووضعتها بين دفتي هذا الكتاب الذي هو شذرات من أفكاري ورؤيتي الخاصة لبعض من جوانب الحياة.

د.شما بنت محمد بن خالد آل نهيان

الباب الأول

من أجل الهوية

هويتنا الإماراتية.. قوة البقاء

نعيـش الآن فـي حالة تشـابك بين الثقافـات المختلفـة، وفي حالة اختـلاط وزخم تبادلي، ومع ذلك التطـور التكنولوجي الكبير جدًّا في وسـائل الاتصال، وانحباس العالم داخل شبكة عنكبوتية تمد خيوطها حـول العقول؛ لتسـيطر علـى أفكارهـا وإرادتها وتتدخل في تشـكيل الهوية الفردية، ومن ثم تكوين الهوية الجمعية لأي مجتمع.

الهويـة هـي مجموعة مـن السـمات الشـخصية الماديـة والفكرية والسـلوكية التي تشكل المفاهيم والأفكار والسـلوكيات التفاعلية مع الموجـودات الحياتية المحيطة بها، وتتحكم في رؤية الإنسـان لعالمه الذاتي وعلاقته بالعالم المحيط به.

ومـن مجمـوع الهويات الفرديـة، تتكون هوية المجتمع الذي يتشـابه أفـراده في الكثير من السـمات العامة بكل أنواعهـا؛ فالتأثير ما بين الهوية الفرديـة والهويـة المجتمعية هـو تأثير تبادلـي، فالفرد يكـوّن المجتمع.. والمجتمع يؤثر في الفرد، وتبقى العلاقة بينهما علاقة بندولية لا تتوقف.

كان الإنسان في الماضي البعيد إذا أراد البحث عن المعرفة وإدراك العالم، شـدّ الرحال لبلاد ومجتمعات، وعاش فيها لمدة قد تصل إلى سنوات، ليشاهد ويتعلم ويتأثر.

وبعد ظهور الكتاب، أخذ دوره في خدمة البشرية من أجل المعرفة واختصـر الوقـت والجهـد الذي يبذله الإنسـان في سـبيل البحث عن المعرفـة، أما الآن أصبحت الحضـارات المختلفة تأتـي إليك بمجرد اسـتدعائها على شاشة حاسـوبك أوهاتفك المحمول، وتنفتح أمامك بوابـة الكون عبر الشـبكة العنكبوتية، التي تتغلغل فـي كل العالم، وما يزال العلم يتطور، والتكنولوجيا تقفز قفزات واسـعة نحو المسـتقبل. في ظل هذا التطور السريع، أصبحت الهوية الفردية معرضة لعواصف مـن التأثـر بالهويـات الأخرى، سـواء من الهويـات الفرديـة المحيطة داخل المجتمع الواحد، أو من الهويات الثقافية الأخرى، التي تخترق مسـاحة المعرفـة، من خـلال تنامـي التواصل التكنولوجـي الحديث، فكلمـا كان المجتمـع قويًّا بالمعنى الشـامل للقوة، كانـت قدرته على التأثيـر في الهويات الأخرى أكبر، فقد تصل إلى حالة من الاستنسـاخ فـي المجتمعات الهشـة، ولكن تبقى الكثير من الهويـات الثقافية قوية وصامدة وقادرة على المقاومة؛ لقوة التماسـك المجتمعي وبقاء القيم المجتمعية الموروثة حية في سلوكيات أفراده.

مـن هنـا، نجـد أن الهويـة الإماراتيـة تقف فـي مواجهـة فيض من الهويـات الإنسـانية المختلفة؛ بسـبب انفتـاح دولة الإمـارات العربية المتحدة على العالم واحتضانها للكثير من الجنسيات من كل ركن من العالم؛ لتقدم نموذجًا للعالم كيف يمكن لجميع الجنسيات والأعراق المختلفة أن تتعايش في سـلام، في ظل قانون يحمي القيم الإنسـانية، وحق الإنسـان في الحياة؛ لذلك لابد وأن نحمي هويتنا الإماراتية، من

خلال دور الأسـرة والمدرسـة ووسـائل الإعـلام المرئية فـي تعريف الأجيـال الجديدة بتراثنا الإماراتي، والمحافظة على عاداتنا الأخلاقية الموروثـة. ولا يتوقـف الأمر علـى التعريـف بالحكايـات والقصص المروية عن أجدادنا وعن عاداتنا، ولكن لابد أن نتخطى عتبة الحكي، ونستدعي في سلوكياتنا اليومية ميراثنا الأخلاقي والقيمي، ويبقى دور الأسـرة هو الـدور الأكبر والأهـم في الحفـاظ على هويتنـا الإماراتية بتفاصيلها الرائعة.

ومما لاشك فيه أن الخطوة الأولى تكمن في المحافظة على هويتنا اللغوية؛ فهي الوعاء الحامل لكل تفاصيل الشخصية الإماراتية، وتبقى جهـود الدولة متواصلة؛ من أجل المحافظة على هويتنا بكل تفاصيلها وخصوصيتهـا المتفـردة التي ذابـت فيها حضارات، عبـرت على هذه الأرض الطيبـة من أزمنة فاتت، فهـا نحن نقترب من نهاية عام القراءة. وانقضى شـهر أكتوبر وهو شـهر القراءة، واسـتعاد الكتاب جزءًا كبيرًا مـن حيوية العلاقة المعرفية، بينه وبين الإنسـان على أرض الإمارات، وخاصة الأطفال، فهم المسـتقبل لهذا الوطن، والذي انطلق فيه عديد مـن المبـادرات الوطنيـة؛ التي تهدف تعزيـز اللغة العربيـة. ويأتي هذا العام مواكبًا صـدور واحد من القوانين الأهم في الحفاظ على التراث والهويـة الإماراتيـة، وتعزيزها في نفوس الأجيـال، وهو قانون التراث الثقافـي لإمـارة أبوظبـي؛ ليسـاهم فـي تعزيز الهويـة الوطنيـة بصورة منظمـة، والإبقاء على خصوصية هويتنا الإماراتية، وسـط هذا الفيض اللامنتهي من الثقافات والحضارات المختلفة.

كلمـة أخيـرة، يبقى تلاحم وتنظيـم جهود الدولة، وجهود الأسـرة هو السـد الحامـي لهويتنا الإماراتيـة لإبقاء أطفالنا، تحـت مظلة قيمنا وموروثاتنا الأخلاقية والإنسانية.

جريدة الاتحاد– 31 أكتوبر 2016

مجلس صيانة الحضارة

عبر تاريخ الإنسـان الممتد، بُنيت حضـارات واندثرت حضارات، وسـيطرت حضـارات علـى العالم، ثـم زالـت وبقيت آثارهـا تحكي أمجـادًا ولت، وتلـك الحتمية التاريخية التي جعلـت علماء الاجتماع يعتبرون أن الحضارات كالإنسـان تولد وتشب وتنمو وتصل إلى ذروة القوة، ثم تدخل في مرحلة الانهيار، وتخبو جذوة شمسـها. الحضارة كمـا يُعرفها الدكتور حسـين مؤنس فـي كتابه (الحضـارة): (هي ثمرة كل جهد يقوم به الإنسـان لتحسـين ظروف حياته، سـواء أكان الجهد المبـذول للوصول لتلك الثمرة مقصودًا أم غير مقصود، سـواء أكانت الثمـرة ماديـة أم معنويـة). كما يراهـا «ويل ديورانت» فـي كتابه (قصة الحضارة): (أنها نظام اجتماعي يعين الإنسان على زيادة إنتاجه الثقافي. وتتألف الحضارة من عناصر أربعة رئيسة: (الموارد الاقتصادية، النظم السياسـية، التقاليد الخلقية، ومتابعة العلوم والفنون)، وهي تبدأ حيث ينتهـي الاضطـراب والقلـق، لأنه ما إن آمن الإنسـان مـن الخوف، إلا وتحـررت في نفسـه دوافع التطلع وعوامل الإبداع والإنشـاء، وبعدئذ لا تنفـك الحوافـز الطبيعية تسـتنهضه للمضي في طريقـه لفهم الحياة وازدهارها. لهذا يبقى الإنسـان ركيزة بناء الحضارات الأساسية، فمن

دون قدرته على الإنشاء والبناء والإبداع والابتكار في مجالات الحياة كافة، ما كان له أن يبني حضارة ما.

كانت دولة الإمارات العربية المتحدة مَعْبرًا، تمضي من خلاله مختلف الحضارات ما بين الغرب والشرق والشمال والجنوب، فطبعت على مدار تاريخها الطويل الكثير من آثار الحضارات الأخرى، وذابت في حضارتها التي ظلت محدودة بحدود جغرافيتها الصحراوية، والمقسمة في مجموعة الإمارات المنفردة، قبل أن يتم الاتحاد، ويعلن قيام دولة الإمارات العربية المتحدة؛ لتبدأ خطوتها الأولى نحو تكوين حضارة إنسانية متفردة، لها من الخصوصية ما يجعلها متميزة. وكانت السنوات الأخيرة من القرن الماضي، تحمل إرهاصات بناء الحضارة التي تشرق على صحراء الإمارات؛ لتنثر بريق الثقافة والمعرفة على أرضها الطيبة. ونحن اليوم نحقق ذلك الأمان الذي تحدث عنه «ويل ديورانت» كأساس لبناء الحضارة، ذلك الأمان، الذي يدفع الإنسان إلى التنقيب في قدراته وطاقاته الابتكارية والإبداعية ليعيد صياغة معطيات الحاضر، ويصنع مستقبلًا أفضل. وحين ننظر نظرة شاملة إلى دولة الإمارات العربية المتحدة، نجدها وقد حققت كل تلك العوامل التي تساهم في صناعة الحضارة.. نجد مواردنا الاقتصادية تتنوع، فلم يعد النفط هو مصدر قوة الاقتصاد الإماراتي فقط، بل من خلال يقين القيادات الحكيمة منذ المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان – طيب الله ثراه بأن البترول ثروة، ولكن سيأتي يوم وينتهي، بدأت خطوات جادة في سبيل تنوع المصادر الاقتصادية وضعت رؤية

لمرحلة ما بعد النفط والإعداد للاحتفال بآخر برميل نفط. من خلال هذا التنوع الاقتصادي، تضمن الاستقرار والاستدامة الاقتصادية.

أما العامل الثاني، فهو الاستقرار السياسي الذي تعيشه دولة الإمارات، من خلال الثقة المتبادلة ما بين القادة والمجتمع، تلك الثقة التي تولد قيمًا إنسانية نبيلة، تستقر في يقين القيادات أن ضمان السعادة والأمن والأمان للمجتمع هو الهدف الأسمى، وأن المواطن، وكل من يحيا على أرض هذا الوطن، له الحق في الحياة الكريمة الآمنة، ويقوي هذا الاستقرار قوة مؤسسات الدولة، وحرصها المستمد من حرص القادة على تحقيق تطلعات المواطن الإماراتي.

ومن هنا نعرج على العامل الثالث، وهو القيم الأخلاقية، تلك القيم التي توارثناها من خلال موروث مجتمعي أخلاقي قوي، نبعه هو الدين الإسلامي الحنيف في وسطية منهجية، وقوة تلك القيم نابعة من إيمان الأفراد بأن التطور والتحضر لا يمنعان من المحافظة على المنظومة القيمية والأخلاقية الموروثة. وهنا أشير إلى الحرص على إطلاق مبادرة تضمين المناهج الدراسية مادة التربية الأخلاقية، والتي أطلقها صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان ولي عهد أبوظبي، ونائب القائد الأعلى للقوات المسلحة، حفظه الله.

ومن التقاء تلك العوامل الثلاثة، نصل إلى أهم عامل من عوامل النمو الحضاري، والذي يرتكز على العقل الإنساني، وهو القدرة على الابتكار في العلوم والإبداع في الفنون والثقافة. وبنظرة شاملة،

نجد أننا قد خطونا خطوات واسعة على الطريق، وتنشأ الآن أجيال في الإمارات، تشكل القدرة الابتكارية والإبداعية، جزءًا من كيانها الثقافي. وتقدم الدولة بقيادة صاحب السمو، الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان، رئيس الدولة ونائبه صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، نائب رئيس الدولة، ورئيس مجلس الوزراء، وحاكم دبي، حفظهما الله، كل الدعم لبناء المؤسسات العلمية والثقافية المختلفة، التي تعمل على تنمية الطاقات الابتكارية والإبداعية لدى الشباب والأجيال الناشئة، والحرص على تطوير العملية التعليمية في الدولة؛ لتكون عملية تفاعلية، تعتمد الفهم والإدراك والإبداع.

نحن نصنع حضارة تنمو على أرض دولة الإمارات العربية المتحدة، لن يقف تأثيرها على حدودها الجغرافية، ولكن سيكون لها تأثير ثقافي ومعرفي وعلمي على المجتمع العالمي كله، فنحن لا نزال في طور الإنشاء والبناء، ونقترب من ترسية جوانب حضارتنا الإماراتية كافة، بصبغاتها التطورية والقيمية ذات الخصوصية المتفردة، والمتماسة مع الحضارات والثقافات العالمية كافة، دون تمييز أو إقصاء.

ويبقى هاجس الحتمية التاريخية لتطور الحضارات من مرحلة البناء لمرحلة الشباب ثم لمرحلة الشيخوخة والضعف، ذلك الهاجس الذي يُولِّد في ذهني سؤالا، مؤداه: هل تلك الحتمية غير قابلة للتغير؟ نعم أظنها قابلة للتغير، فليس هناك قواعد مجتمعية مطلقة؛ إذ قد تتغير القواعد طبقًا لتغييرات معطياتها، ومن هنا لابد وأن ندرك أننا نبني

حضارة لتبقى، وتظل قوية ومشعة وقادرة على العطاء المستمر؛ لذلك لابد وأن يكون في خططنا التنموية رؤية للوقاية من تلك العوامل، التي تؤدي إلى ضعف الحضارات الإنسانية.

من هنا، أوجه دعوتي لكل المعنيين بالدراسات المجتمعية داخل دولة الإمارات العربية المتحدة، بتقديم رؤيتهم وتوجيه جزء من دراساتهم المجتمعية إلى كيفية حماية الحضارة الإماراتية في المستقبل، والمحافظة على بقائها شابة فتية وقوية. كما أقترح أن تعمل الدولة على إنشاء مؤسسة علمية معنية بصيانة الحضارة الإماراتية (مجلس صيانة الحضارة الإماراتية)، تكون مهمته الرصد والدراسة المستمرة، والتنبؤ بكل تغير يحدث داخل المجتمع، قد يؤدي إلى حدوث شرخ في جدار تلك الحضارة، التي نعمل على بنائها، وتعنى بتقديم العلاجات لتلك الحالات؛ لتكون دولة الإمارات العربية مصدرًا دائمًا للنور والحضارة في العالم، ونبني لأجيالنا التالية حصنًا منيعًا وسعادة دائمة، تظل ساكنة حدود وطننا الغالي، دولة الإمارات العربية المتحدة.

جريدة الاتحاد– 2 مارس 2017

الأبواب المغلقة

«كل باب يغلق برغبة صاحبه لا تطرقه أبدًا» جملة مررت بها، خلال تصفحي لشبكات التواصل الاجتماعي، فتوقفت عندها متأملة، وإذ بي وسط صخب من الأفكار والتساؤلات، أرى ثمة أفكارًا مخبأة في مضمونها، فهل حقًّا لا يجب أن نطرق على الأبواب التي تُغلق؟ وإن فعلنا، أليس هذا استسلامًا لواقع، قد نأمل في تغييره؟! أم يجب علينا ألا نكف عن الطرق على تلك الأبواب، مهما كانت الأسباب؟ أصبح الأمر بالنسبة لي ليس مجرد جملة عابرة، وسط مئات الجمل، التي تمر بنا في شبكات التواصل الاجتماعي، بل رأيت فيها انعكاسًا لواحدة من قضايانا الإنسانية المهمة، وهي التمسك والإصرار على الوصول إلى الهدف. الباب هنا يعكس رمزية كثير من الأهداف الحياتية التي يحيا من أجلها الإنسان، رأيت فيه ثلاثة من الرموز الأساسية المهمة، وهي: باب المعرفة وباب الانتماء وباب العلاقات الإنسانية.

فجميع الأبواب وراءها واحدة من تلك العلاقات أو فروعها، ويبقى السؤال ملحًّا مصارعًا انزواء الصمت، باحثًا عن نور يجيب عنه.

وباب المعرفة، هو الباب الأساسي في الحياة الإنسانية، التي يجب أن يطرقه كل إنسان بحثًا وراء الوعي؛ فالمعرفة تبني الهيكل الفكري

في الإنسـان، وتعطي العقل الوعي والإدراك، وتجعل منه فضاءً متسعًا يحتوي على كثير وكثير من العلاقات المعرفية المتشابكة، التي تتفاعل مع بعضها؛ لنحصل على ملامح الفكر الإنسـاني الذي يشكل انعكاسًا تختلـف تفاصيله بين الثقافات المتعددة، التي تكون الثقافة الإنسـانية، وكذلك بين الأفراد داخل الثقافة الواحدة.

الوقـوف أمـام الأبواب المعرفية المغلقة سـاكنين هـو حالة موت؛ فالبـاب قـد لا يفتح اليـوم، ولكن حين نبقى عازمين على كشـف تلك المعـارف، التـي وراء البـاب، ولا نكف عن الطـرق عليه بكل حماس وقـوة، حتمًا سـيأتي يوم تضعف فيه مقاومته ويفتح لنكتشـف ما خلفه من معارف، تضيف لنا كأفراد ومجتمعات وكحضارة إنسـانية جامعة. مـن المعـروف أن «تومـاس أديسـون» أجـرى ألفي محاولـة لاختراع المصبـاح الكهربائـي قبل أن ينجـح، لقد ظل يطرق علـى الباب حتى انفتح في النهاية، كلنا ندرك قيمة المصباح الكهربائي للبشرية جميعها، وليس لذاته أو مجتمعه أو زمنه فقط.

تلك هي أبواب المعرفة، تظل موصدة ولكنها أمام الطارق، الباحث دومًا عن المعرفة المختبئة خلفها سـتنصت يومًا لوقع طَرَقاته وتنفتح. أبـواب المعرفـة قـد يكون وراءهـا فكر لآخـر نختلف معـه، فهل هذا يجعلنـا لا نطرقهـا، ونبحث عن تلك الأبواب التـي تحمل عناوين من يشبهوننا؟ بالقطع لا، فهذه طريقة تؤدي بنا للجمود الفكري؛ فالتفاعل مـع أفكار الآخـر، وطرق أبـواب معارفهم والدخـول لعالمهم وقبول

دخولهم لعالمنا والتفاعل بين الأفكار، من خلال التحاور في إطار من التسامح والقبول والإقناع والمحبة الإنسانية، حتمًا سيوصلنا إلى منتج إنساني أكثر عمومية وفاعلية؛ فنحن أجزاء متناثرة من المعرفة الإنسانية الأشمل، فحين نتجمع ونتبادل أفكارنا ومعارفنا تكتمل الصورة، وكأننا في لعبة (تجميع الصورة)، التي ننجح فيها حين نجمع كل قطع الصورة داخل إطارها بعناية ودقة، ولن يكون ذلك إلا إذا قبلت كل قطعة أن تحتل القطعة الأخرى مكانها بجوارها، فتكتمل الصورة.

أما باب الانتماء، فكل إنسان لديه انتماءات متعددة ومتنوعة، ويظل الانتماء الوطني هو أهم هذه الانتماءات، التي تدفع الإنسان المنتمي إلى وطنه إلى طرق كل الأبواب، التي يختبئ خلفها مستقبل أجمل وأفضل لوطنه، حتى تفتح الأبواب ويغمر وطنه بالخير الذي وراءها. دائمًا ما يلفت نظري الكثير من الأمثلة المشرقة في الوطن العربي وفي العالم التي تؤكد ذلك، ولكني توقفت عند تجربة النائبة اللبنانية «بولا يعقوبيان».. لقد تابعت تجربتها خلال الانتخابات اللبنانية، وحتى الآن، وأنا لست هنا بصدد الحديث عن النجاح السياسي، ولكن أُقيِّم التجربة بجانبيها الوطني والإنساني، فكم ناضلت وما تزال من أجل القضايا البيئية في وطنها، لبنان، بكل الوسائل التي امتلكتها، والتي تمكنت في مزيد منها. وبعد فوزها في الانتخابات اللبنانية، لم تقف أمام أي باب مغلق واستسلمت، بل طرقت كل الأبواب، وماتزال تطرقها؛ من أجل الإنسان والحياة الإنسانية النظيفة في وطنها، وحاولت معالجة أزمة النفايات المستعصية منذ فترة طويلة، وأرى

اقترابها من النجاح باستمرارها بالعزيمة نفسها وبالإصرار نفسه، لقد آمنت «بولا» بقيمة الإنسان داخل الوطن، فكان انتماؤها الصادق لوطنها دافعًا للاستمرار في طرق كل الأبواب. وعندما نؤمن بفكرة، ويكون لدينا هدف وخطة للوطن الذي نحن جزء منه، نصبح قادرين على تغير الوعي في المجتمع، وتحقيق كل أحلام الوطن، والتي نراها قائمة خلف عديد من الأبواب المغلقة، التي لن تتوقف كفوفنا عن طرقها مهما أوجعتنا الطَّرقات، ولكن في تلك اللحظة التي تفتح فيها، سننسى كل تلك المعاناة، أمام فرحة إنجازنا للوطن الذي ننتمي إليه.

وفي العلاقات الإنسانية، تظل الجدلية الكبرى: هل نتوقف عن طرق الأبواب، التي أغلقها الآخرون، ولا يسمحون لنور العلاقات الإنسانية السوية أن يغمر الحياة؟.. هل يجب أن نظل مرابطين عند عتبة الباب، الذي أغلقه أحدهم في هدوء، وننتظر أن يعيد فتحه؟ أم نطرق عليه بهدوء أو بصخب؟ أم ننسحب بعيدًا عن تلك العتبات، وقد يأتينا من أغلق ذلك الباب يومًا، ليطرق هو على أبوابنا؟

أرى أن طرق الأبواب في العلاقات الإنسانية خاضع لعدة ظروف وعوامل، قد تحكم استمرارنا في الطرق أو الانسحاب أو الانتظار في صمت؛ فهذا الأمر يتوقف على نوع الإنسان الذي نطرق بابه، ومدى العلاقة التي تربطنا به، والأسباب التي دفعته إلى إبقاء الباب مغلقًا أمامنا.. كل تلك الأسباب قد تتحكم في إرادتنا الذاتية، هل نستمر في طرق الأبواب؟ أم ننسحب في هدوء وصمت أم ننتظر؟

يبقى طرق الأبواب المغلقة في مجملـه قيمة إنسانية، يجب أن نتمسك بها، ولا نتوقف عند الانسحاب، بل نظل نحمل في وجداننا الأمل في أنها يومًا ما ستفتح، ويظل هذا الأمل هو الدافع لاستمرار الطرق على الأبواب المغلقة؛ حتى يأتي اليوم الذي تفتح فيه ويغمرنا النور الكامن خلفها.

جريدة الاتحاد– 18 أغسطس 2018

الثابت والمتحول في فضاء القيم

(مؤشر التحولات القيمية)

تمثـل القيم مجموعة المعتقدات والقناعـات، التي تحكم العلاقة ما بين الإنسـان وكل ما يحيط به مـن موجودات في الكون، ثم تتحول تلـك القناعات إلى سـلوكيات فاعلـة، هدفها تحقيق الخير والسـعادة للإنسـان ومـا يحيـط بـه. تنمـو القيم فـي وجدان الإنسـان مـع الزمن وتتراكم، وتظل حية فيه لا تخرج من ضميره الإنساني. عندما نتحدث عن القيم، يتبادر إلى الأذهان مجموعة من الثوابت، التي ترسـم سـلمًا ومعاييـر لتقييم الأعمال والأقوال والحكم عليها. لكن لو تعمقنا أكثر، سـيتبين لنا أن سـلم القيم يتغيـر تمامًا، كما هي الحال مـع القيم؛ لأنها تتحـرك مع الزمن وفق معايير خاصة، تواكب حركة التطور في حياتنا؛ فالحرية الفردية هي في رأس سلم القيم في السويد، في حين أنها تأتي فـي الدرجة الثانية أو الثالثة وربما أكثر عند العرب. والتضامن العائلي هـو رأس هرم أولوياتنا، بينما نجده في الغرب متأخرًا في ترتيب سـلم أولوياتهم. ولو رجعنا للتاريخ البعيد أو القريب، لوقعنا على عشـرات الأمثلة، التي تثبت أن المتحول في فضاء القيم أكثر بكثير من الثابت.

إن العبوديـة لم تكـن عيبًا في التاريـخ القديم.. وحتـى فترة قريبة، كانـت الولايـات المتحـدة الأميركيـة تعتمدها كنظام عـام حتى القرن التاسـع عشـر. كما أن العبودية كانت جزءًا لا يتجـزأ من منظومة القيم التـي حكمـت العالم القديم، وما تـزال موجودة بأشـكال مختلفة إلى يومنـا هذا. ولو نظرنا إلى حضارة اليونـان القديمة، التي أعطت العالم الفلسـفة وروح الديمقراطيـة، نجـد أنهـا كانـت تمجـد العبوديـة عبر فلاسـفتها ومفكريها. كانت الفكرة السـائدة عندهم تقـول إن العبودية طبيعة، فأفلاطون الذي يعتبر أشـهر فلاسـفة القيم، عبر التاريخ، مجَّد العبوديـة وكان عالمه الفاضل في جمهوريتـه (اليوتوبيا) يحتوي على العبيد، ومات وهو يملك خمسـة عبيد.أما أرسطو، فقد اعتبر أن السيد هو بالضرورة أفضل من العبد، وفضيلة العبد الوحيدة هي طاعة سيده. وبين أثينا وأميركا، وما قبلهما وبينهما من حضارات فرعونية ومسيحية وإسلامية وآسيوية وغيرها، سلسلة من الثقافات، التي اعتمدت العبودية ووضعتها أحيانًا في أولويات سـلم القيم، وظل الوضع البشـري على هذا النحو إلى أن أطلق الرئيس الأميركي إبراهام لنكولن إعلان تحرير العبيـد عـام 1863؛ ليفتح عصـرًا جديدًا من معـاداة العبودية. وصارت الحريـة وتحرير العبيـد القيمة الأولـى والفضيلة الكبـرى في الغرب، وصولًا إلى معظم الشـرق. وأصبحنا أمام مشـهد جديد، فما كان قيمة عليا وفضيلة(العبودية) صار رذيلة مطلقة.

وكـذا الحـال مع عمل المرأة، فلـو نظرنا إلى أوروبا مـا قبل الثورة الصناعيـة عـام 1776، لوجدنا أن القيمة الأهم فـي التعاطي مع المرأة،

هي كونها أمًّا ومربية. أما بعد الثورة الصناعية، صار عمل المرأة خارج المنزل، هو القيمة الأهم، وهو معيار لقيمة المرأة ذاتها.

وحتى لا نذهب بعيدًا، فلننظر إلى بلدنا الإمارات، وكيف كان تعاطي سلم القيم مع المرأة منذ نصف قرن، وكيف أصبح ميزان القيم اليوم، وقد اقتحمت المرأة الإماراتية سوق العمل، من التدريس وصولًا إلى قيادة الطائرات الحربية. والحرية قيمة ثابتة ولكن مفهومها متحول، ففي زمن العبودية كانت حرية الحر قيمة، وطاعة العبد هي فضيلته وقيمته.

أهمية التفكير في تحولات القيم هي في كونها منهجًا، إذا اعتمدناه سنصل إلى نتيجة حتمية، وهي ضرورة أن نتمهل في إطلاق الأحكام القيمية المطلقة، ونتفهم المختلف أو المخالف.. فرُبما قيمة اعتبرناها اليوم رأس سلم أخلاقنا، أدركنا بعد زمن تراجعها للخلف في سلم القيم.

ويقع الكثير في حالة التباس بين مصادر القيم؛ فالقيم تتعدد مصادرها فمنها الديني والمجتمعي والعقلي، وكثيرًا ما يحدث خلط بين القيم الدينية والقيم المجتمعية والقيم العقلية، ويلجأ الكثير من المنغلقين إلى إلباس القيم المجتمعية لباسَ الدين، الذي يجد إذعانًا وتقبلًا في نفس الإنسان العادي؛ لما للدين من قداسة وتسليم. وهنا تكمن الخطورة والأزمة التي تعانيها الدول الإسلامية؛ فأزمتنا أن بعضنا ألبس قيمنا المجتمعية ثوب الدين، فأساء إلى الإسلام وقيمه.

إن حالـة الالتبـاس بيـن القيـم مـن المنظـور الفـردي، والقيم من المنظـور العام تخلق صراعًا داخل الإنسـان، بين ماهـو فردي وما هو إنسـاني.النجاح هو قيمة عظيمة يسعى إليها الإنسان، وهي قيمة ثابتة، ولكـن تظل آلياتها عرضة للتحولات والصراعات الذاتية التي يعيشـها الإنسان، فقد يتعارض النجاح الفردي مع بعض القيم الإنسانية الثابتة، وقـد يصل إلـى تعارضه مع حق الآخر فـي الحياة، وهنـا يوضع الفرد أمام خيار صعب. ولكن ذلك من أجل أن ندرك أن الإنسانية دائمًا هي خيارنا الأصوب.

إن القيـم مهمـا تحولـت وجـرى عليها حكـم الأيـام، لا يمكن أن تنقـص فضيلتهـا أو تتراجـع مكانتها. وبعـض القيم يبقى علـى الدوام في رأس سـلم القيم الإنسانية، لأي مجتمع ينشد التقدم، وعلى رأسها القيـم التي تعتبر فضائل فردية كالصـدق والأمانة، أو فضائل اجتماعية كاحترام الآخر واحترام النظام العام.

إن هذه القيم تعتبر حجر الأسـاس في بناء المجتمعات؛ فالمجتمع الذي يغيب فيه الصدق أو تغادره الأمانة، يغرق في الفسـاد والإفسـاد. أمـا احترام الآخر والانتظـام، فهي القيمة والفضيلـة التي لا يمكن من دونهـا لأي مجتمـع أن يسـتمر أو يتقدم. وغياب هذا النـوع من القيم، يحول المجتمع إلى غابة يفترس فيها القوي الضعيف.

ولكـي نحافظ على القيم من تحولاتها السـلبية، التي قد تؤدي إلى اختلال سـلم القيـم المرتبط بثقافتنـا الخاصة، لابد مـن تكاتف أربعة محـاور مهمـة، هي: مؤسسـات المجتمـع المدني والدولة ومؤسسـة

التعليـم والأسـرة؛ لتكتمـل منظومـة الحفـاظ علـى القيـم مـن التغير العشوائي والسلبي، ولكن هذا لا يعني أن نتجمد عند موقف معين، بل لابد أن يكون لنا مراجعاتنا المنهجية لسلم القيم، وألا نترك التحولات تسـير في شـكل عشـوائي، قد يؤدي إلى انهياره؛ خاصة بعد التفتت أو التشـدد الذي طال كثيرًا من القيم المجتمعية في المنطقة العربية خلال الخمسـين سـنة الأخيرة، والذي لازم ظهور أصحاب الفكر المتشدد، الذين عبثوا بسـلم القيم لمجتمعاتنا العربية، واستغلوا خضوع الجميع لسلطة الدين وتغييب سلطة العقل.

لذلـك لابـد مـن رقابـة هـذه التغييـرات والتحـولات وإخضاعها للدراسات المنهجية الدورية، من خلال مقترح أقدمه للمجتمع المدني وللدولة بإنشاء (مؤشر التحولات القيمية)، يحتوي في عضويته أفرادًا من مؤسسـات المجتمع المدني والمؤسسـات الحكومية ذات الصلة والمؤسسات التعليمية بكل مراحلها، ووضع خطة استراتيجية للمؤشر، تعتمد على تصور سـلم القيم داخل مجتمع الإمارات، وتحديد آليات لدراسة التحولات التي تحدث في هذه القيم، والعوامل المؤثرة فيها، وقيـاس معدلات الانحـراف؛ ليكون لدينا الرصيـد العلمي والمعرفي الذي يجعلنا نحافظ على سُلَّم القيم ثابتًا، وأن يكون التحول المطلوب مـن خلال الرؤى التي تتغيـر، عبر تغير معطيات الفتـرات الزمنية؛ بناءً على وعي وخطط منهجية، تأخذ التحول إلى حيث تعظيم مردود تلك القيم على تحقيق الخير والسعادة للإنسان، على أرض الإمارات.

جريدة الاتحاد– 4 مايو 2019

الموروث.. الحداثة والأمن المجتمعي

حين ظهر الإنسان على الأرض، تكونت الجماعات البشرية، التي تحولت بمرور الوقت إلى مجتمعات، وكل مجتمع يجمعه نسق ثقافي واحد، ثم بدأت تظهر الحضارات الإنسانية على الأرض. كان الشعور بالأمن هو الدافع الأكبر لسعي الإنسان إلى تكوين الجماعات، والانخراط داخل مجموعات ثقافية متشابهة. وسعى الإنسان لامتلاك القوة؛ كي يكون قادرًا على مواجهة التهديدات. ومع نمو الشعور بالأمن داخل المجتمع، اتجه الإنسان إلى مزيد من التنظيم وظهور التشريعات والقوانين، التي تقدم للإنسان مزيدًا من الشعور بالأمان والاستقرار، مع احتفاظ كل مجتمع بنسقه الثقافي المميز به، وكان التبادل الثقافي المؤثر يحتاج إلى فترات زمنية طويلة، كي يحدث أثرًا واضحًا في المجتمعات.

وحديثًا في ظل التسارع التكنولوجي والتغير والتطور المتلاحق، في مناحي الحياة المادية كافة، من علوم وتكنولوجيا الاتصالات والتواصل ما بين الثقافات المختلفة، والذي أصبحت سرعته خارج نطاق السيطرة عليها، ويتبع ذلك حالة التأثير والتأثر ما بين الثقافات؛ مما يؤدي إلى إحداث تغيير سريع ومربك أحيانًا في طرق المعايشة

اليوميـة؛ فتتعـرض بعض المجتمعـات المتباطئة فـي النمو الحضاري والعلمي لحالة اشـتباك ما بين العادات المكتسبة من التواصل الثقافي المتسارع، ومحاولة الشباب التشبه بتلك الأنماط الثقافية والأخلاقية، التـي يتعـرف إليهـا عبـر وسـائل التواصـل الاجتماعـي؛ خاصـة فـي المجتمعات المتقدمة حضاريًّا وعلميًّا، والربط القاصر ما بين الأنماط الحياتيـة لها والتطور الكبير والرفاهية الاقتصادية والعلمية؛ مما يؤدي إلـى تغيـر في نظـرة الأجيـال الجديـدة للقيـم والأخلاق. يزيـد ذلك ضعـف الوعي وعدم تفهم أسـباب التطور الحقيقـي، مع غياب الرؤية الاسـتراتيجية، المعتمـدة على تنمية العقل البشـري والبنـاء المعرفي، بعيدًا عن الخرافة والمحيط الأسطوري، الذي يحيط بعقلية المجتمع، فتتسـع الفجوة ما بين الأنماط السـلوكية والقيم الأخلاقية والموروث الثقافـي للمجتمع؛ ممـا يعرض الأجيال لفجوة كبيـرة تنهار فيها القيم والمـوروث الأخلاقـي، فتتداعـى بعـض أساسـيات الأمـن والسـلم المجتمعي، ويصبح المجتمع في حالة سيولة تفقده استقراره.

نحن أمام إشـكالية تمس الوجود، لذلك لابد أن نجد حلولًا لتلك الإشكالية، التي ما إن اتسعت، لكانت ذات أبعاد اجتماعية سلبية. ومن وجهة نظري، هناك عدة نقاط لابد أن نضعها في حسباننا، ونحن نفكر في حل لتلك الإشكالية؛ للحفاظ على الأمن والسلم المجتمعي:

أولًا: لابد أن ندرك أنه ليس كل موروث إيجابيًّا، فهناك بعض الموروثات القيمية متجمدة عند حدود زمن ظهرت فيه، ولكن

لابد أن تخضع للتطور والتغير مع حالة التدفق الحضاري الحديثة، لذلك لابد أن نقوم بانتقاء تلك الموروثات، التي لا تتعارض مع الحضارة الحديثة، ولا تحدث خللًا في رؤية الأجيال الجديدة للموروث، وتبني جدارًا ما بينه وبين القيم التي تربينا عليها؛ مما قد تؤدي إلى حالة رفض كامل لكل موروث.

ثانيًا: العمل على تنمية العقل النقدي في عقول أطفالنا وطلابنا في المدارس، من خلال تنميته على التفكير الفلسفي، وتنمية عقله النقدي، وعدم كبت جماحه، فلابد أن نعيد للمدارس دراسة الفلسفة والمنهج الفلسفي في التفكير.

ثالثًا: احتواء الشباب وهذا التطور الكبير في معارفهم وتعارفهم على الثقافات المختلفة، وغرس الثقة فيهم بثقافتهم وحضارتهم، التي ليست وليدة اليوم، بل هي حضارة قديمة ممتدة لآلاف السنين.

رابعًا: تنمية الطموح العلمي والابتكاري للشباب، والعمل على تطوير كل ما يرتبط به من نتاجات ابتكارية وعلمية.

خامسًا: الحرص على عدم القطيعة بين الشباب واللغة العربية؛ لأنها الوعاء الثقافي الذي يحافظ على شخصيتهم وميراثهم الثقافي، ولا ننقص في الوقت نفسه من الاهتمام بتعلم لغات العالم؛ خاصة اللغات التي يتم تداول العلم بها.

ويبقى لنا أننا في الإمارات قطعنا شوطًا كبيرًا في احتواء تلك الإشكالية، ولكن مايزال الطريق طويلًا أمامنا؛ لنقل مكانتنا الحضارية من مستهلكين للعلم إلى منتجين للعلم، مع احتفاظنا بخصوصيتنا الثقافية دون انهيار لقيمنا الأخلاقية، حتى نحافظ على التماسك والأمن المجتمعي..

وإنني أرى أننا على الطريق الصحيح، مع تأكيد احتياجنا لمزيد من العمل، والحرص على إبقاء المسيرة في طريقها؛ حتى نحقق غايتنا، وهي بناء حضارة إماراتية حديثة، يصنعها مجتمع آمن ومتماسك ومتمسك بقيمه، وتساهم في رفع الرصيد البشري من الفكر والثقافة والعلم.

جريدة الاتحاد– 17 سبتمبر 2019

كان العقل.. ثم كانت الحياة

فـي البدء كانـت الكلمـة، والكلمة لا تكـون إلا حين يكـون هناك عقل واع قادرٌ على التخيل وفهم دلالاتها؛ فالعقل سابق لكل معطيات التطور والحضارة.. حين جاء الإنسـان العاقـل إلى الأرض منذ آلاف السـنين، ظل حبيس تصوراته الخرافية حول الحياة والكون، ولجأ إلى بناء الأسـاطير ليسـد تلك الفراغات التي خلفها جهله بالكون، وكانت هـذه هـي الشـرارة الأولى التـي انطلـق منها شـغفه بالمعرفة وتفسـير الغامـض مـن مظاهـر الحيـاة، ذلك الشـغف الـذي دفع الإنسـان إلى اكتشـاف النار، واكتشـاف الزراعة والخروج من الكهوف إلى البيوت والتمرد على الخوف من الطبيعة.. إنها اللحظة التي أدرك فيها أن قوته تكمن في عقله.

وطـوال تاريـخ الإنسـان، وتشـابك العلاقـات التـي ربطتـه ببقيـة الموجودات في الكون والجماعات المختلفة، التي تناثرت بين أرجاء الأرض، كان العقـل يميـل إلـى بناء تصوراتـه الأولـى للقوانين، التي تربط العلاقات وتنظمها ما بينه وبقية البشـر، وما بينه والحياة، وبدأت تتشـكل الأخـلاق التـي تراكمـت مفاهيمهـا المختلفة، وتكون سُـلَّم القيم، وتفرع ليصبح لكل مجتمع سُـلمه القيمي الذي يتشابه ويختلف

مع النسق القيمي لدى الآخرين، ولكن لا يتضاد، وتظل الاختلافات في الأولويات، ولكن تبقى القيم الأساسية جزءًا أصيلًا في سلم القيم لجميع الجماعات البشرية، التي تكونت بعد ذلك وتطورت، ووصلنا إلى ما نحن فيه الآن من تعقد في شبكة العلاقات الإنسانية.

مع تطور الحياة، وتقدم الزمن، وتراكم الموروث، تحدث حالة تجمد وانغلاق عقلي وضياع للشغف في بعض المجتمعات، ومثلما حدث بمنطقتنا العربية، حين ظهرت سلاسل الموروثات العقيمة التي كبلت الشغف، فتباطأ نمو العقل، وتجمدت رؤيته لكثير من العلاقات ما بين الإنسان والحياة عند رؤية من سبقونا بمئات بل بآلاف السنين، وتحول العقل بعد فترة من فقدان الشغف إلى صورة مشوهة من عقول سبقتنا، فلا نحن بنينا على ما أتموه ولا صنعنا جديدًا، بل ظللنا سجناء داخل عقولهم وتصوراتهم، التي تواءمت مع زمن اختلفت معطياته تمامًا، ولم يمتلكوا وقتها هذا القدر من التراكم المعرفي، الذي نمتلكه اليوم، والأكثر قسوة أننا لا ندرك أن شغفنا وعقولنا وأخلاقنا مكبلة.

مع إدراك تلك السلاسل التي صدأت، بدأنا مرحلة التخلص من التجمد والخروج من صدأ التجمد إلى لمعان التحرر، وأدركنا أن هناك فرزًا لموروثنا القيمي والأخلاقي والمعرفي لابد منه، فليس كل موروث جيدًا، وليس كل موروث يصلح للحاضر المتسارع في التطور.

كيف يمكن أن ننتج أجيالًا قادرة على الفرز؟ وإدراك أن سلم القيم والموروث قيمة خاضعة للتغير والتواؤم مع متغيرات الحياة الحديثة؟ نعود إلى سلسلة العقل، الشغف والأخلاق.. بناء عقل متساءل قادر على التلقي، وبناء رؤية خاصة به حول ما يتلقاه ونقده، ثم إعطاء هذا العقل الحق في ممارسة شغفه بالخروج على المألوف، وبناء وعي وإدراك مختلف؛ ليعيد تقييم الأخلاق والقيم والمبادئ، ويتحرك مع الحركة العامة للبشرية فنحن جزء من البشر، إما أن نتحرك معهم أو نتمسك بالبقاء متقوقعين، فيأتي يوم نصحو لنكتشف أننا أصبحنا تائهين في كهف من الموروث، فلنفرز موروثاتنا، ولنحمل منها الحي والمتناسب مع سرعة الحياة، ولنترك وراءنا السيئ، ولنحتفظ متحفيًّا بذلك الموروث، الذي فقد حيويته مع حركة الحياة لتصبح قيمته تاريخية.. لنعلم أننا مجتمعات تتطور وتبني حضارة، ضمن حضارة بشرية جامعة وجامحة، قائمة على العلم والمعرفة والعقل والإدراك.

جريدة الاتحاد– 27 أكتوبر 2019

ثقوب في جدار الهوية

فـي يوم اللغة العربية الذي نحتفل به يوم 18 ديسـمبر، من كل عام، سيتحدث الجميع عن جمال اللغة العربية وثرائها الكمي من المفردات والمترادفات، الذي يجعل منها لغة شاعرية ومرنة وفياضة الدلالات.. لنغير الزاوية، وننظر للغة العربية التي هي الإطار الذي نؤطر فيه ثقافتنا وهويتنـا، والوعاء الجامع لفكرنا الجمعي للمجتمع الإماراتي خاصة، والمجتمـع العربي عامة. ولكن هناك بعض الثقوب، التي تصيب ذلك الوعـاء.. وحيـن نقترب أكثر من تلـك الثقوب، سنكتشـف أنها بدأت تسرب هويتنا وثقافتنا، ويجب أن ننتبه لذلك.

دعونـا نتخل قليلًا عن البلاغـة الاحتفالية باللغة العربية، ونزِح عن أعيننـا بعضًا مـن غمامة المديـح، لنرى المشـهد واضحًـا، وندرك أن تلك الثقوب، إن لم ننتبه إليها ونغلقها سـتتحول إلى شروخ وتتشعب، وكلما تناسيناها وتغافلنا عنها، فإن ذلك سوف يؤدي إلى تحطم الوعاء وتفتت هويتنا وسمتنا الثقافي.

ثقـب الأسـرة: الطفل يتلقى إشـاراته الأولى التي يبـدأ خطواته في الحياة علـى وقعها، من الأب والأم.. لنقترب من الواقع في مجتمعنا، ونقـول من المربيـة أيضًا، التي هـي الأزمة الكبرى والثقب الأوسـع،

الـذي تتسـرب منه الهويـة، كيف يمكـن أن يتعلم الطفل اللغـة العربية وسـط أسـرة، غير حريصـة على التحـدث باللغـة العربية فيمـا بينهم، والطفـل أكثر التصاقًـا بالمربيات، وهم غالبًا من جنسـيات غير عربية، ولغتهم الرسـمية للتحـدث هي الإنجليزيـة، كيف ستنشـأ علاقة قوية بين الطفل ولغتنا العربية والآباء لا يعملون على سـد هذا الثقب! إنهم حريصـون على أن يتعلم الطفـل اللغة الإنجليزيـة فيتحدثون معه بها، وتدمـج مصطلحاتها مـع اللغة العربيـة بلهجتها اليومية، ليبدأ تسـرب الشـعور بالهوية رويـدًا، دون أن يدرك الآباء المكونات، التي تؤسـس عليها شخصية الطفل تراكميًّا.

ثقب المدرسـة: يحرص الآباء أيضًا أن ينتمي أبناؤهم إلى مدارس أجنبية، وهذا شيء جيد، فيبدأ الطفل التعلم، في الروضة؛ حيث يتعرف أكثر على اللغة الإنجليزية أو اللغات الأخرى، ولكن الإشكالية ليست في تعلمه، بل تكمن في درجة الاهتمام بتأسيس اللغة العربية في وجدان الطفـل، ففي المدارس ذات المناهج الأجنبية لا يهتمون كثيرًا بتكوين اللغة العربية بقدر الاهتمام نفسـه بتأسيس اللغة الإنجليزية؛ حتى نجد بعـض المدارس تفـرض على الطلاب التحدث باللغـة الإنجليزية في معاملاتهـم، فيمـا بيـن بعضهم البعـض داخل المدرسـة، فيسـتقر في وجدان الطفل، ويشب على أن اللغة الأخرى هي لغة التعامل اليومي، وأن اللغة العربية، هي لغة ثانية فيفقد الطفل في سـنواته الأولى علاقته القويـة باللغـة العربية، التـي يفترض معها أن تتشـكل هويتـه وثقافته، ولكن هذا التشكل يسير في اتجاه آخر.

يكبر الطفل وهو مشبع باللغة الأخرى، ويشب على التفكير بها، ولا يستطيع التفكير باللغة العربية.. وحين يبدأ في قراءة الكتب، يبحث عن الكتب التي تتحدث باللغة التي يستطيع أن يفكر بها، ويكون ساعتها قد بدأت مرحلة زحزحة هويته اللغوية، وتشكل ثقافته على اللغة التي يقرأ بها ويفهم ويجيد التفكير بها، فتتسع الثقوب وتتسرب منها هويتنا؛ حتى نجد أمامنا شبابًا وفتيات علاقتهم بالهوية مهزوزة وغير واضحة، ويقفون في منطقة رمادية ما بين هويتنا العربية والهوية الأجنبية الأخرى.

خلال حضوري إحدى الندوات الثقافية، بمعرض أبوظبي للكتاب العام الماضي، كانت هناك مجموعة من الشباب تتحدث مع بعضهم البعض، فوجئت بأحدهم يقول إنه سيتحدث بالإنجليزية؛ لأنه يجد صعوبة في التعبير عن أفكاره باللغة العربية.. الشاب عربي والمكان عربي والجمهور عربي، ولكنه لا يجيد التعبير عن نفسه وأفكاره بالعربية.. ذلك هو النموذج الذي سيصل إليه شبابنا، ما لم ننتبه؛ لذلك لابد أن تكون هناك خطوات ندعم بها تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها؛ خاصة المربيات بأن يتم إلزام الأسر بتعليم المربيات العاملات في المنازل اللغة العربية، في مراكز متخصصة، على أن تكون إلزامية وشرطًا لتجديد الإقامة في الدولة، ومع القيام بمزيد من الرقابة والاهتمام بتدريس اللغة العربية، في المدارس ذات المنهاج الأجنبي. ورسالتي لكل أب وكل أم أن تتحدثا مع أولادكم بلغتكم ولهجتنا، لا تساهموا في دفع أبنائكم إلى المنطقة الرمادية من الهوية؛

فيفقـدوا بوصلـة هويتهم الإماراتيـة والعربية.. إن أهم مـا نقدمه للغتنا العربية في يوم الاحتفال بها ليس المديح وتعديد جمالياتها ومحاسنها وقوتهـا، بـل لنكن أكثـر عمليـة وفاعلية، ونكـف عن الـكلام الكثير، ولنسرع ونعمل على سد تلك الثقوب النازفة في جدار هويتنا.

جريدة الاتحاد – 17 ديسمبر 2019

ترويض المستحيل

مثل كل عام، يأتينا يوم الثاني من ديسمبر؛ لنحتفل فيه بعيد التوحد تحت راية واحدة، وهي راية دولة الإمارات العربية المتحدة، ونفتح دفاتر ذكرياتنا، ونقلب في أوراقها، ونستعيد من التاريخ بعضًا من حكمته؛ لنتحدث عن تلك اللحظة الفارقة في تاريخ مجتمعنا وهي لحظة إعلان الاتحاد.

واليوم لنفعل شيئًا مختلفًا، وبدلًا من أن نفتح دفتر التاريخ، دعونا نفتح دفتر المستقبل، ونقرأ تلك السطور المخبوءة في عباءة الأمل، لنقرأ أحلام كل أب وكل أم وكل إنسان، يعيش على أرض الإمارات الخصبة بالخير.

المستقبل، ذلك القائم على ماضٍ وحاضر، يستمد قوته من يقين الإنسان الإماراتي بأنه لا بد أن يكون جزءًا من الحضارة البشرية الحديثة، وليس فقط مجرد جزء منها، ولكنه فاعل وصانع لقيمة مضافة.

يتخلص من عباءة المستهلك، ويرتدي عباءة الصانع، الذي يقدم للبشرية الجديد، من خلال العلم والمعرفة والفكر.. فهكذا تحيا الحضارات وتبقى، مهما طال بها الزمن، وتظل تقاوم حتمية

الشيخوخة الحضارية، بل يمكن أن تكسر تلك الحتمية بأن تبقى وتظل منبعًا للخير لكل البشرية.

قد يقول أحدهم هذا مستحيل، ونحن في الإمارات نقول لهم نحن نتحدى المستحيل، وسنهزمه لأننا أقوياء بمجتمع، ينمو وعيه يومًا وراء يوم، وبقيادة رشيدة تخطط من أجل المستقبل، ولا تقف عند إنجازات الماضي، بل تبني عليها كل يوم منجزًا جديدًا، وتصون تلك الأمانة التي حمّلها لهم الأجداد والآباء، وتدرك قيمة تراب هذا الوطن؛ فتقدم له كل ما يسهم في جعله الأول في كل شيء.

عند كل مناسبة تاريخية، نقلب في ذاكراتنا ونسترجع الماضي، ونفتخر به ونزهو بأننا كنا هنا على هذه الأرض منذ آلاف السنين، بنينا حضارة ظلت مطوية بين ثنايا الرمال، حتى باحت بخبيئتها وأخبرتنا عن ذلك التاريخ العميق.. لكن أجدادنا كانوا جزءًا من التاريخ، ونحن الأحفاد جاء دورنا كي نصنع التاريخ، والتاريخ لا يصنعه إلا من ينتج المعرفة والعلم والقيم.

ترتكز كل الحضارات على حلم زار يومًا أهلها، وحين أشرقت عليهم شمس النهار، سجلوا الحلم نقوشًا على جدران عقولهم، واجتهدوا حتى صارت أحلامهم حقائق.. فاحلموا معي بالمستحيل، لأنه لو لم يكن ممكنًا لكان عدمًا، ولكن المستحيل يظل مجرد فكرة وخوف مسيطر، على وجدان البعض، وحين نتخلص منه يتم ترويض المستحيل؛ ليصير واقعًا ممكنًا.

مجلة زهرة الخليج – 5 ديسمبر 2019

الباب الثاني

القراءة والتعليم

نقرأ لندرِك.. ونكتب لنُدرَك

المعرفة هي باب الإنسان لإدراك ذاته، ولا يدرك الوجود بمفرداته إلا بـإدراك الـذات. وتبقـى القـراءة هي أهم الأشـرعة، التـي يُبحر بها الإنسـان في بحور المعرفـة لتخطفه نتوءات الحـروف، وتحلق به في فضـاءات العقـول العارفة؛ ليتعلـم ويدرك، ويعود لمرافئ ذاته مشـبعًا بالمعرفة. ويبقى شغفه دافعًا للسفر دومًا لمدائن الكتب.

القـراءة هـي واحـدة مـن المقاييـس المهمة التـي يقاس بهـا تقدم المجتمعـات الإنسـانية، فالمتحضرة منها تكون منفتحـة على ثقافات العالـم الأخرى بقـراءة أفكارهـا وإرثهـا المعرفي، من بيـن صفحات الكتـب التـي صاغتهـا عقـول، أدركـت فكتبـت مـن منطلـق تجاربها الذاتية.. إلا أننا ندرك سـاعتها تلك القواسـم المشتركة التي تجمع كل الثقافات الإنسـانية، فكلنا شركاء في ذات إنسـانية جامعة، تتوحد فيها تلك القواعد الإنسـانية الحاكمة لتكوين الفكر الإنسـاني، ولكن تتنوع مخرجات إدراك مختَلف الحضارات لتلك القواعد.

ليـس ثمة حضـارة إلا ولها إرثهـا المكتوب، لتظل عجلـة الإبداع المكتـوب تـدور فـي فلك العقـول القارئـة. ويبنـي الإنسـان علاقاته بالثقافـات المختلفة. وتلك التعاطيـات المتبادلة هي صاحبة انعكاس

إيجابي على تنمية الثقافة الخاصة، وخلق الجديد من الرؤى والأفكار، فقـراءة الآخر تحمينا من الانكفاء على مخرجات الذات، والوقوع في هوة التجمد والتآكل والانزواء.

ولأننـا في دولـة الإمـارات العربيـة المتحـدة، وبوعي مـن قيادتنا الرشـيدة، نـدرك أن الانفتـاح على ثقافـات العالم هو الطريـق لتعظيم معارفنـا وإدراكنـا؛ ليكون ركيزة للحفاظ على المكتسـبات الحضارية المتناسـقة مـع إرثنـا الثقافي، فقـد كان للقـراءة قيمتهـا المتعاظمة في المجتمـع الإماراتي. ومن هنا، وانطلاقًا مـن رؤيته المدركة لتحديات المسـتقبل، أطلق صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان رئيس الدولـة، حفظه الله، مبادرة عام 2016 عامًـا للقراءة، داعمًا خلق أجيال قارئـة منفتحـة على العالم؛ لتبقـى جذوة الحضارة والتطـور متقدة في قلب الإمارات ومضيئة بالمعرفة.

جريدة الاتحاد– 25 يناير 2016

2016 عام القراءة..وماذا بعد؟

القـراءة بوابـة العقـل لإدراك الحيـاة، وفهـم الوجود، واسـتيعاب العلاقـات التـي تربط الإنسـان بكل مـا يحيط به من مكونـات حياتية. نخطـئ كثيـرًا حيـن نحصر القـراءة في مطالعـة الكتب فقـط، فالقراءة هي الفعل الإنسـاني الذي يتفرد به العقل البشـري؛ ليكـون قادرًا على التعرف إلـى المعاني وتحليل دلالاتها للوصـول إلى الفكرة، وإضافة رصيد معرفي للعقل؛ ليكون قادرًا على اسـتحضاره حين الحاجة إليه. ولا تكمـن المعاني فقط فـي الكتب، فالعقل قادر على القراءة البصرية للمشـاهد الحياتيـة التـي تحيـط بـه، وقـادر علـى أن يقرأ محـاورات الآخرين ونقاشات الجلساء، ويتسمع لأصوات الموجودات الكونية، ليكمل العقل سلسلة إجراءاته الذهنية لتنمية رصيده المعرفي.

إن جعـل القـراءة مكونًـا أساسـيًّا من مكونـات الحيـاة للأطفال، يمثـل الخطوة الأولـى لطريق طويل لخلق أجيـال عارفة، قادرة على التعامل مع كل متغيرات الحياة، التي سـتطال مسـتقبلهم، فمعطيات حياتنا اليوم تختلف عنها بعد عشرات السنين، ودون المعرفة القادرة على التجديد والابتكار والإبداع، تظل الأجيال مقيدة برصيد معرفي ساكن.

إن كل كتـاب يُقرأ هو رصيد تراكمي يزيـد من تفتح مدارك العقل، وتوسـيع زوايـا الرؤيـة للحيـاة وتفجيـر مكامـن الطاقـات الإبداعيـة والعقليـة؛ ممـا يكون له الانعـكاس في خلق أجيال قويـة منفتحة على ثقافات العالم، وتكون رقعة مضيئة في فسيفساء الفكر الإنساني.

تسـابق الجميـع من مؤسسـات حكوميـة وغير حكوميـة في طرح المبادرات والفعاليات التي تدور داخل إطار (عام 2016 عامًا للقراءة)؛ سعيًا إلى وضع الخطوات الأولى لتنشئة أجيال قارئة وعارفة ومبدعة؛ لتحافظ على مكتسبات الوطن الحضارية التي تحققت.

وهنـا أتوقـف عنـد محورين مهميـن، من شـأنهما تعظيـم التأثير الإيجابـي لزخم القراءة والثقافة فـي المجتمع حاليًا: المحور الأول، وهـو تحويل القراءة إلى طاقـة منتجة وإبداعية؛ حيث يجب أن تكون مبادراتنـا فـي تعليم الأطفال والأجيال الناشـئة وتحويـل القراءة إلى عادة يومية مشـمولة بتعليمهم؛ كي يمكنهم اسـتنهاض طاقات العقل المخزونـة فـي التجديـد والإبداع والابتـكار في المجـالات الثقافية والعلمية والفكرية كافة.. هكـذا صنعت القراءة في الحضارة الغربية المتقدمة؛ فقد اسـتطاعت المجتمعات الغربيـة، في خطواتها الأولى نحـو التقـدم، أن تسـتنفر فـي عقـول أجيالهـا الناشـئة طاقـة الإبداع والتطـور، وتحولـوا من فلسـفة القـراءة الاتباعية إلى فلسـفة القراءة الإبداعيـة، التـي تطـور الرصيد المعرفـي وتنميه بالإبـداع والإضافة والتطوير.

والمحـور الثاني سـؤال، هو الأهم خلال هذه الفتـرة، وهو (وماذا بعـد عـام 2016؟)، لكـي نحافـظ علـى هـذا الزخـم الثقافـي، وكيف يمكـن تحويل المبادرة لتكون نقطة البداية لإسـتراتيجية تشـاركية بين مؤسسات الدولة والمؤسسات غير الحكومية وشبه الحكومية المعنية بالتنشـئة الثقافية للأجيـال القادمة، ونضع من خلالها رؤية مسـتقبلية، ونتعمق في رؤيتنا للقـراءة؛ لتكون أبعد من قراءة الكتاب فقط، لتكون اسـتراتيجية جامعـة لتطويـر كل منافـذ القـراءة كما سـبق وأوضحت؛ لنسـهم فـي تكوين أجيـال قارئة ومن ثـم عارفة وقادرة علـى الابتكار والإبـداع، وواعيـة بموروثهـا الثقافـي والديني والأخلاقـي، ومدركة لقيمـة التطـور والحضـارة والتمازج الإيجابـي التأثيـري والتأثري مع الثقافات الإنسانية الأخرى كافة.

أطلـق دعوتي لكل المهتمين والمعنيين بمسـتقبل القراءة؛ لنحافظ علـى مكتسـبات «مبادرة عام القراءة»، ووضع اسـتراتيجية مسـتقبلية، وتحويـل تلك الجهـود المتفرقة إلى مظلة تشـاركية مسـتدامة، تنطلق وتسـاهم في إخراج عقول أبنائنا، الذين هم عماد الوطن في المستقبل إلى نـور المعرفة، ووهج الابتكار والتطور لتسـتمر قـدرات المجتمع الإماراتـي الفريـدة فـي تحويـل الأحـلام إلى واقـع، يزيد مـن التطور والبنـاء، واسـتمرارًا لمسـيرة عطـاء ممتدة عبـر تاريخ دولـة الإمارات العربية المتحدة.

جريدة الاتحاد– 27 مارس 2016

الخروج من الفصل

التعليم هو القاطرة التي تمضي وراءها حياة الإنسان، فمنذ أن يولد الإنسان وهو يتعلم، ولكن يبقى التعليم في المراحل الأولى من حياة الإنسان، الأساس الذي تُبنى عليه شخصية الطفل، ويساهم في تكوين ذاته، ويرسم ملامحه الإنسانية والعلمية والحضارية، من خلال آليات التعليم داخل حجرات الدراسة وفي قاعات الأنشطة المختلفة، التي تبني الحس الفني والإنساني لدى الطفل؛ لتتلاقى مع مرحلة لا تقل أهمية عن التعليم، وهي التشجيع على القراءة، وتكوين رابط حقيقي وقوي بين الطفل والكتاب ليتشكل ثنائي التطور (العلم والمعرفة).

العلم يبني القواعد الراسخة التي يشكل عليها الطفل معرفته، وتطوير قدراته على التفكير والاستنباط والتحليل، والوصول إلى الأفكار المدونة والمتضمنة داخل النصوص.. من هذا المزج تولد العقول المبتكرة.

برعاية المدرسة والآباء الواعية، نخلق في الطفل القدرة على الإبداع، وإعادة إنتاج المعرفة؛ لننتج أجيالًا واعية وعارفة وقادرة على التجديد، ولا تحبس ذاتها في مدركات الأجيال السابقة فقط، بل تتخطاها إلى مرحلة التجديد والابتكار دون الإخلال بموروثات

المجتمع القيمية.. من هنا تحافظ الأمم المتطورة على تطورها وترتقي بنفسها ولا يوقف قافلتها التطورية شيء؛ لأن الضمان هنا أجيال تواصلت مع ماضيها، وأدركت حاضرها وتتطلع لمستقبلها المتجدد.

لكي نستطيع أن نصل إلى إنتاج أجيال فائقة التطور، وتحافظ على مكتسبات مجتمعاتنا الحضارية وتساهم بشكل إيجابي في المستقبل، يجب أن نراعي الآتي:

أولًا: لننظر إلى التعليم من منظور إبداعي متجدد، لا من منظور تلقيني متجمد؛ كي تكون الحالة التعليمية متوهجة بالابتكار والتطوير وحل المشكلات بصور غير نمطية.

ثانيًا: لنخرج من جدران الغرف، ونجعل من التعليم حالة استكشاف لا حالة تلقٍّ.. لنتخلص من هواء الغرف اللامتجدد إلى براح التفكير والبحث المتجدد.. لنخرج من جدران التلقين إلى ساحات التفكير والإبداع، من خلال زيادة مساحات الأنشطة اللاصفية والداعمة؛ لتشكيل عقل قادر على التساؤل والتفكير وإعادة الإنتاج.

ثالثًا: لنستكشف قدرات الأبناء ومواهبهم، ونعيد تشكيل طاقاتهم العلمية والفكرية والفنية، فكثير من المواهب والطاقات تضيع في سوء الاختيارات؛ نتيجة عدم الاعتماد على آليات حقيقية قادرة على استكشاف قدرات الأطفال ومواهبهم،

وغيـاب التوجيـه التربـوي والتعليمـي والمعرفي فـي طريق التنمية لهذه القدرات والمواهب.

رابعًا: الحـرص علـى زرع فكـرة أن طريـق النجـاح لا يعتمد على الـذكاء والنباهة العقلية فقط، بل يعتمـد أيضًا على الاجتهاد والعمل والمثابرة في التعلم والبحث وراء المعرفة.

خامسًا: الحـرص على تنمية روح الفريق في العملية التعليمية، فلا نقف على حدود أن النجـاح في العملية التعليمية هو نتاج للجهـود الفرديـة، بل لابد أن نضـع آليـات وطرقًا لقياس النجـاح، من خـلال الجهـود الفرديـة، والاندمـاج داخل الفريق أيضًا، فذلك سيكون له الأثر الإيجابي العظيم على تكوين أجيال متماسكة ومتناغمة معًا.

سادسًا: لنخـرج مـن تقليديـة الواجبـات المنزلية، وأوجـه دعوتي للخبـراء فـي المجـال التعليمـي؛ لقيـاس مـدى جـدوى الواجبـات المنزليـة فـي تطوير قـدرات الطفـل التعليمية ومـدى إمكانيـة البحـث عـن بديـل، أو الدمج مـع بدائل أخرى لتطويـر هذه الآليـة التعليمية التقليديـة، ففي حوار منشور على شـبكة الإنترنت مع وزيرة التعليم، في فنلندا، سُـئلت عـن الأسـباب التـي أدت إلـى أن يكون مسـتوى التعليـم لديهم هـو الأنجح في العالم، قالـت تركنا الطفل يعيـش طفولتـه فـي البيـت.. نعـم، نحـن نحتـاج أن نترك أطفالنا ليعيشوا طفولتهم مع التعليم.

سابعًا: القراءة هي الطريق الحقيقي للمعرفة؛ لذلك يجب أن تكون القراءة منهجًا ونظامًا، وليست مجرد نشاط جانبي مصاحب للعمليـة التعليمية.. نحتاج مزيدًا من الاهتمام باختيار أمناء مكتبـات، لا يؤدون مهمتهم مـن منطلق روتين الوظيفة، بل يؤدونهـا من واقع الإيمان بقيمة الكتاب في صنع الإنسـان، ليكـون هناك برامج حقيقية تتعاون فيها المدرسـة مع أولياء الأمـور؛ لخلق علاقة قويـة ما بين الطفـل والكتاب، علاقة لا يحكمهـا الإلـزام ولا النفور، بل تحكمهـا المتعة العقلية وحب المعرفة والبحث عنها.

نحن، في دولة الإمارات العربية المتحدة، قطعنا أشـواطًا كبيرة في تطويـر العملية التعليمية؛ بفضل اهتمام قوي وكبير من الدولة بالتطوير المسـتمر للمنظومـة التعليميـة، والبحـث عـن كل جديد لبنـاء أجيال تحافظ على مكتسـبات وطننا الغالي، والتي وضعته في مصاف الدول الواعدة والمتطورة؛ لنبقى على درب المستقبل، محققين كل تطلعات شعبنا الأصيل من أجل المزيد من التطور والحضارة والسعادة.

جريدة الاتحاد– 29 سبتمبر 2016

هوامش على دفتر عام 2016

تلملـم الأيام بقاياها وتطوي صفحة عام 2016، تلك الصفحة التي خضبتها أحبار الأقلام الباحثة عن المعرفة، فانطلقت بقوة دفع عظيمة، مستمدة من قرار صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان، رئيس الدولة، حفظه الله، حين أعلنه عامًا للقراءة، فكأنه فتح شـرايين الثقافة فنبـض قلب المعرفـة في دولة الإمـارات العربية المتحـدة، وانفتحت نوافـذ العقـل على باحـات المعارف، فمـلأت جنبات البيـوت رائحة الحبر، ترسـم القراءة بأحلام العقول الطالة على المستقبل، عبر أحلام الثقافـة التـي لا تنتهي. هنـا كانت لي عدة وقفات حـول بعض الرؤى، التي سجّلتها على هامش دفتر عام 2016:

ما بين أول عام 2016 ونهايته، حدث كثير من المتغيرات في العلاقة ما بين الكتاب والإنسـان، وتنمية تلك العلاقة ما بين الطفل والكتاب، فلـم يعد هنـاك غرابة تُبعـد الطفل عن الكتـاب والاتجاه إلـى العوالم الافتراضيـة كمصـدر للمعرفـة بديـلًا عن القـراءة، وتزيـل المبادرات والفعاليات القرائية خلال عام القراءة تلك العلاقة الباردة بينهما، وتبدأ علاقة أكثر عمقًا، ذلك هو النجاح الحقيقي الذي نلمسه. لابد أن ندرك أن الثمار الحقيقية لعام القراءة سنجنيها بعد سنوات، حين ينمو الجيل

الحالـي والأجيـال التالية على معطياته وتتطـور القواعد التي وضعها، وسـنلمس القيمة الحقيقية في المسـتقبل للمتغيـرات، التي صنعها في التركيبـة الفكريـة والثقافيـة، ومـن أهم ما حملـه لنا هذا العـام إطلاق قانون القراءة، الذي يضع الأطر التشـريعية والتنظيمية لترسـيخ القراءة كسلوك عام للإنسـان في المجتمع الإماراتي، فتنامت المبادرات التي تعمل على توفير الكتاب في الأماكن العامة، لنتحول من ثقافة المعرفة السطحية البسيطة إلى المعرفة العميقة المخلوطة برائحة الحبر، وتنمية العلاقـة بين الكتاب والطفل من خلال المبادرات، التي أطلقت داخل المـدارس بمختلف مناهجها وانتماءاتها؛ ليكون الكتاب جزءًا من يوم الطفل.

كل تلـك المتغيـرات التـي طُرحت علـى مائدة عـام 2016، نلمس نتيجتها في تحـول عدد كبير من الناس من العبث بهواتفهم في أوقات الفراغ إلى تقليب صفحات الكتب والبحث عن المعرفة، وكذلك تنمية الأطفال والناشـئة على الكتاب كجزء مـن الحياة الروتينية من يوميات الإنسان. ولم يقف الأمر عند حدود الإمارات، بل تخطاها بالمبادرات إلى العالم العربي، حيث أطلق صاحب السـمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، نائـب رئيس الدولة، ورئيس مجلس الوزراء، وحاكم دبي، أكبر مسـابقة قرائية في الوطن العربي (تحدي القراءة)، التي سـاهمت فـي تنمية تلك العلاقة مـا بين الطفل والكتاب، ليـس فقط داخل دولة الإمـارات العربية المتحدة، بل أيضًا فـي كل الدول العربية، لتمد دولة الإمارات أياديها البيضاء إلى كل ربوع الوطن العربي.

هل نكف عن نقد الذات؟

حين كنت أقرأ تلك الأرقام المحبطة عن واقع القراءة في العالم العربي، وأحاول أن أبحث عن المصدر، كنت أتعجب من أين تأتي تلك الأرقام؟! هل من المنطق أن يكون معدل قراءة الإنسان العربي، بكل تاريخه الثقافي والمعرفي القديم والحديث، هو 6 دقائق فقط في العام؟ أي عقل يقبل تلك الأرقام؟! في الوقت الذي قال فيه بعض المفكرين استنادًا إلى تلك الأرقام (إن «أمة اقرأ» لا تقرأ)، فكنت أصر بيقين عميق (أن أمة اقرأ لا تزال تقرأ)، فجاء عام 2016 يحمل معه انفتاحًا إشراقيًّا على حقيقة واقع القراءة في العالم العربي، بناء على دراسة عملية حقيقية، قامت بها مؤسسات موثوق بها، متمثلة في مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، بالتعاون مع برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، ليصدر هذا المؤشر مؤكدًا يقينيًّا، وأُعلن أن متوسط قراءة الإنسان العربي يصل إلى 35 ساعة سنويًّا، وتأتي الإمارات في المرتبة الرابعة بين الدول العربية بعد مصر ولبنان والمغرب. وأرى أنه من المؤكد مع هذا الزخم القرائي وقانون القراءة والدعم الحكومي والمجتمعي للقراءة كسلوك إنساني، أننا سنصل إلى مرتبة أكثر تقدمًا في السنوات المقبلة، فهل نكف الآن عن نقد الذات بقسوة والنظر إلى الواقع الثقافي للمجتمع العربي من المنظور التشاؤمي، الذي تعوده البعض، ونراه بنظرة مختلفة، أكثر إيمانًا بقيمتنا الحضارية والثقافية؟ فالقراءة جزء من تاريخنا وحاضرنا ومستقبلنا.

التربية الأخلاقية

أطلق صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان، ولي عهد أبوظبي، نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة، مبادرة (التربية الأخلاقية) لدعم المناهج الدراسية، فتأتي هذه المبادرة لتكون استكمالًا لمبادرة عام القراءة، التي تبني في الإنسان العقل والمعرفة، وتخلق في وجدانه قيمة متعاظمة للكتاب، فتأتي مبادرة التربية الأخلاقية لتكون بناءً لأخلاقيات الإنسان، مستندة إلى قيمنا الأخلاقية الموروثة من نتاج ماضٍ، صنعته أجيال تخلقت بأخلاق الصحراء الكريمة الطيبة، وتضمين ذلك في المناهج الدراسية هو تأكيد تلك القيم الموروثة، التي يجب أن يراها الطفل راسخة في البيوت، فقد تنشأ في عقله عدة تساؤلات حول تلك السلوكيات الأخلاقية، التي يراها دون أن يدرك معانيها وأهدافها وقيمتها، ليأتي دور التعليم من خلال منهج التربية الأخلاقية، ليقدم للطفل التفسير لكل تلك التساؤلات، التي قد يطرحها، فتترسخ في وجدانه تلك القيم، ونبني أجيالًا قارئة ومستنيرة بأخلاقها واحترامها للإنسان والحياة وقوية، مؤمنة بثقافة قبول الآخر، في إطار المنظومة المجتمعية المتكاملة، التي تسعى دولة الإمارات العربية المتحدة إلى توطيدها وتقويتها.

عام الخير

منذ أيام، ونحن نستقبل لمسات الفجر الباردة، وتشرق علينا شمس الخير، حين أعلن صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان رئيس

الدولـة عـام 2017 عامًـا للخيـر، ليكتمـل ضلع جديـد في مثلـث بناء الإنسـان على أرض الإمـارات (القراءة والأخـلاق والخير). من هنا، أدعو كل المجتمع إلى أن يدرك أن الخير ليس فقط في إعطاء المحتاج والإنفـاق على غير القادر.. هذه أحد جوانب الخير، ولكن الخير قيمة واسعة، تمتد حدودها إلى كل السلوكيات والقيم الإنسانية، فابتسامتك في وجه الآخر خيـر، واحترامك للآخر خير، وتنمية قدرات المجتمع ثقافيًـا وفكريًا هو أيضًـا خير، فالخير هو العطاء فـي كل ما يمكنك فيه العطاء، دون أن تنتظر مقابل ما تعطي.. تلك هي الحقيقة التي يجب أن ندركهـا جيـدًا، قبل أن نبدأ فعاليات عام الخيـر.. لننطلق في عام 2017 بتحليق العقول القارئة في فضاء المعرفة بجناحي الخير والأخلاق.

ومـاذا بعد؟ هـل نضع هنا نقطة النهاية لعـام القراءة، ونفتح صفحة عـام الخير؟ تلك هي الحالة التي لا يجب أن تكون، فلا تطفئوا شـعلة عـام القـراءة لتوقـدوا شـعلة الخيـر، ولا تتوقفـوا عـن دعـم مبادرات القراءة.. يجب أن نحافظ على أدائنا المبهر في المبادرات القرائية إلى جـوار مبادرات عـام الخير.. ذلك التخوف الـذي أنقله للجميع؛ حتى لا نتوقـف ونظـل مندفعين بقـوة المعرفة مـن أجل الخيـر، فنحن ننير شعلة بجوار شعلة، لا شعلة مكان شعلة؛ ليزداد مجتمعنا نورًا، يكشف مزيدًا من المسـتقبل الأكثر نموًّا وتطورًا وتحضرًا، ويظل النور مشـرقًا بشـمس الحياة على المجتمع؛ ليزداد الإنسان الإماراتي ارتقاءً، ويبقى على طريق المعرفة، وينهل من نهر الأخلاق مستمرًّا بالعطاء للخير.

جريدة الاتحاد– 29 ديسمبر 2016

الكتاب وصراع الدهشة والبقاء

بعد انتهاء شهر رمضان الكريم، وآثار الزخم الروحاني الذي عشته طوال هذا الشهر النوراني، التي لا تزال تفرد ستائرها على الروح، فقد ظللت طوال الشهر يغمرني فيض من التواصل الإلهي، يعيد ترتيب الروح والعقل والجسد، فهو ليس مجرد شهر للعبادة فقط، بل هو شهر يستعيد فيه الإنسان ذاته، ويزيح عن عقله وروحه الغبار الذي علق بهما طوال عام كامل، ويعيد فتح طاقات النور على العقل فيغمره نور المعرفة، ويعيد فتح مسام الروح فيتجدد يقينها.. في لحظة الإدراك هذه، توقفت أمام مكتبتي، وأنا متشوقة لحوار جديد مع كتاب أسافر معه إلى أحد مرافئ المعرفة.

نظرت إلى تلك الكتب المصفوفة فوق الأرفف، وشعرت بها وكأنها تهمس فيما بينها، وتتواصل معي، وكأن كل كتاب يحاول أن يقفز من مكانه إلى يدي، ويبتسم لي قائلًا اقرئيني.. كم هو إحساس مخيف، ولكنه رائع أن تشعر بهمسات الكتب على الأرفف، بل تسمعها كأن أنفاسها تلقي بدفئها في أذنك.. تساءلت مندهشة كيف أن ثمة أناسًا لا يدركون جمال القراءة وروعة تلك العلاقة، التي تربط الإنسان والكتاب.

فـي تلك اللحظـة، وصلتني رسـالة من أخت وصديقـة عزيزة، بها مجموعة روابط لكتب إلكترونية ضخمة جدًّا، نظرت إلى تلك الروابط التـي تحوي بيـن طياتها مئات الكتب وعدت لأنظـر إلى تلك الأرفف التـي تحـوي آلاف الكتب.. دفعتنـي المفارقة للكتابة عـن هذا الواقع الـذي صنعتـه التكنولوجيـا في عصرنـا الحديث، وتسـاءلت عن دور الكتاب في حياتنا وقيمته في صنع العقول، وماذا عن مسـتقبل الكتاب وسـط هذا الزخم الكبيـر والمتنامي لشـبكات التواصـل الاجتماعي، والإنترنـت، والـذي يؤدي حتمًـا إلى تراجـع دور الكتاب فـي الحياة الثقافية، وانتشار الاعتماد على شبكات التواصل الاجتماعي، وأصبح البحـث عـن المعلومـة والحقيقة والمعرفـة يقتصر على الفيسـبوك أو تويتر وغيرهما.

قـررت أن أحـاول الخـروج من ضجيج السـلبية إلى رؤيـة الأمور بصـورة مغايـرة، والبحـث حـول إيجابيات عديـد من تلـك القضايا؟ نسـتخرج مـن تلـك المخاطـر التـي تحيـق بالحيـاة الثقافيـة ووجهها الإيجابـي، علنـا نسـتطيع أن نعظمها وننميهـا؛ ليكون لهـا الانعكاس الإيجابـي علـى العقل، فنكافح سـلبياتها بإيجابياتهـا، ونحمي أجيالنا القادمة من تلك التداعيات.

يجب أن ندرك الدهشة التي يشعر بها الطفل من التدفق المعلوماتي الكبيـر، عبر شـبكة الإنترنت ومواقـع التواصل الاجتماعـي، فكما أن هناك صفحات ومواقع لا تقدم أي شـيء مفيد ولكنها مبهرة، وتصيب

الطفل دائمًا بالدهشة، نجد أن هناك مواقع وصفحات ثقافية رصينة ومعرفية عالية القيمة، يمكن أن تثير في عقله الرغبة في البحث، ولكن لابد أن نعترف بأن تلك الصفحات والمواقع ما زالت تقدم محتواها بعيدًا عن تلك الحيوية والانبهارات والمرونة، التي تقدمها الصفحات والمواقع الأخرى، ولذلك نحن نحتاج إلى إعادة نظر في إنشاء مواقع معرفية، تكون قوية وحيوية ومبهرة للطفل تسافر به عبر الجوانب الإيجابية، وتثير فيه الدهشة، التي تنمي فيه الرغبة في البحث عن مزيد من المعرفة، ولا تصيبه بالتيبس الفكري والاستسلام. ورغم أننا قطعنا شوطًا جيدًا في هذا الاتجاه، إلا أننا ما زلنا نحتاج مزيدًا ومزيدًا من الجهود والتطوير.

إن حرص الآباء على مشاركة أبنائهم، في تلك الاهتمامات، يساهم بقدر كبير في التنمية المعرفية لهم، ولكن لابد أن تكون بروح التشاركية لا المراقبة، التي تبعد الأبناء عن مشاركة الآباء. وكذلك لابد دائمًا أن ندمج الكتاب في علاقة تكاملية مع شبكات التواصل الاجتماعي والإنترنت، ونشجع الأبناء على فرد مساحة من وقتهم للقراءة وتكوين آرائهم الخاصة، ونشجعهم على نشرها عبر صفحاتهم. فنحن هنا نساهم في تكوين شخصيات قادرة على التعبير عن آرائها، قادرة على الإبداع والابتكار والتعامل مع معطيات الحضارة الحديثة، مع الحرص على عدم الإخلال بالعلاقة بينهم والموروث الثقافي والأخلاقي للمجتمع؛ مما يسهم في تكوين مواطن صالح متفتح، ذي

عقـل قادر على التمييز، لتسـتقيم العلاقة بينه والتكنولوجيا وشـبكات التواصـل الاجتماعي، ويكون متجاوبًـا ومتفاعلًا معها، لا ضحية لها، ويكون الكتاب جزءًا من يومه.

في الأزمنة السـحيقة، كانت هناك طرق للمعرفـة مختلفة كالتلقين والكتابـة على الأحجار والجلـود، ولم يكن للأوراق وجود في الحياة ولكـن التطور البشـري صنع الـورق ومن الورق صنـع الكتاب، ومنذ طباعـة أول كتـاب ما بين عـام 1440– 1450م، أصبح الكتاب المطبوع هـو البسـاط السـحري، الـذي يلـف بنا عالـم المعرفـة، ويحفـظ بين جوانحه أفـكار العلماء والمفكرين والأدباء.. وفي السـنوات الأخيرة نعيش عصـر تحولات كبيرة، ويتحول الكتاب مـن الحالة الورقية إلى الحالـة الإلكترونيـة، وقد يأتي يـوم تختفي الأوراق مـن حياتنا ولكن الكتاب لن يختفي، هو مجرد تغير في الشـكل كما تغير شـكل الكتاب على مر التاريخ كوسيلة للمعرفة، وصولًا إلى حاضرنا، وحتمًا سيتغير في المستقبل ولكن الشكل ليس هو العنصر الأهم، وإنما بقاء المعرفة مصدرًا لنمو العقل البشري وتنمية الإنسان، هو المفصل المحوري في الأمـر، أن نقرأ ونعرف ونبحث ونتعلم ونعيـد إنتاج الأفكار، فالكتاب ما هو إلا ثوب ترتديه الأفكار.

إن القضيـة المحوريـة هـي أن يظل الإنسـان يبحث عـن المعرفة، ويقـرأ ليتعلـم ويفتـح مداركه علـى العوالـم المختلفـة، ويعيـد إنتاج الأفـكار، يضمنهـا كتابًـا ورقيًّا أو إلكترونيًّا، أو أي شـكل من أشـكال

الإبـداع الإنسـاني. ولابـد أن يبقـى الكتاب - بأي شـكل هـو عليه - قائمًـا في مفـردات الثقافة الإنسـانية، والمحافظة على القراءة سـلوكًا حضاريًّـا، يكتمـل بـه نمـو المجتمعـات وبقاؤهـا على طريـق التطور والتقدم والحضارة.

وفـي نهايـة المقال، أطـرح عليكم تسـاؤلًا حول تخيلكـم أعزائي القراء للشكل، الذي يمكن أن يكون عليه الكتاب في المستقبل؟

جريدة الاتحاد- 16 يوليو 2017

التعليم.. ومئوية الإمارات 2071

المستقبل.. تلك الكلمة التي حين ننطقها، تتداعى في مخيلتنا كثير من الصور والأحداث والأحلام، التي تعيش فينا.. هذا حين نتحدث عن مستقبلنا الفردي، ولكن حين نتحدث عن مستقبل وطن، فنحن لا نرتكز على الأحلام والأمنيات، بل لابد وأن تحول تلك الأحلام والأمنيات إلى خطوات فاعلة، وتمهيد لبناء المستقبل هذا الذي تحمله على عاتقك.

منذ فترة قصيرة، أُطلقت مئوية الإمارات 2071، فكانت الرؤية لمستقبل يمتد لخمسين عامًا للأمام، لنصل إلى العيد المئوي للاتحاد، ونحن أول العالم، هو طموح بوجدان كل إنسان يعيش على أرض هذا الوطن الغالي، ولكن هل نتوقف عند درجة الطموح؟ فكثير من الأمم والمجتمعات توقفت خطواتها نحو المستقبل على الحلم والأمنيات وإطلاق الشعارات، ولكننا في دولة الإمارات العربية المتحدة لم نقف عند تلك الزاوية، بل خرجنا منها إلى محيط العمل الدؤوب، نحو تحقيق تلك الرؤية المستقبلية، قد لا نكون نحن جزءًا من حاضر ذلك الزمن، ولكننا سنكون جزءًا من تاريخه، الذي ساهم في تحقيقه وبنائه. وفور إطلاق المئوية، بدأت خطوات العمل تتوالى خطوة وراء خطوة؛

من أجل نقل السعادة والرخاء لأحفادنا في مستقبل نبني فيه الإنسان أولًا، قبل أن نبني الجدران. فكان لابد وأن يصبح التعليم واحدًا من أهم المحاور الأربعة، التي بُنيت عليها رؤية مئوية الإمارات، فكيف يتسنى بناء الحضارة دون بناء الإنسان (العقل والروح والجسد).

نحتاج إلى تعليم، يعمل على بناء العقل وتشكيله على الابتكار والإبداع والاهتمام بالعلوم التكنولوجية والهندسة المتقدمة؛ فالعلم ركيزة بناء للمستقبل، ولا يمكن أن نحصل على أجيال عالمة ومبتكرة، دون تعليم قائم على بناء العقول واستنهاض طاقات التفكير والإدراك والوعي، فكانت الخطوات الأولى نحو ذلك بإصدار قرار توحيد المناهج التعليمية في كل الدولة، تحت إشراف وزارة التربية والتعليم، والتي قدمت نموذجًا واعيًا في رؤيتها لمستقبل التعليم في الإمارات، والذي يلبي طموحات المجتمع.

لابد وأن ندرك أن أهم عنصر في المعادلة التعليمية هو المعلم؛ فهو المسؤول عن بناء تلك العقول، التي ستكون قيادات الفترات القادمة، التي من خلالها سنحقق ذلك الطموح، فمن دون معلم قادر على مواكبة التطور العلمي والاجتماعي المتسارع في العالم، لن نستطيع الوصول إلى حيث نحقق خطتنا الطموحة من أجل الريادة الحضارية في العالم، فمهما وفرنا من مصادر تعليمية، ومواد علمية متطورة، ومبانٍ على أعلى المعايير العالمية؛ من أجل تنمية تعليمية حقيقية، كل ذلك سيفقد قيمته مالم نوفر معلمًا واعيًا مبتكرًا وقادرًا على التعامل

مع كل تلك المعطيات المتطورة، واستيعاب كل التغيرات الحديثة في العمليـة التعليمية، وفي آليات التعلم واتباع الطرق الحديثة في التعلم، واستكشـاف وتنميـة قـدرات الطـلاب الابتكاريـة والإبداعيـة؛ حتى تكتمـل معادلـة تفوق العمليـة التعليميـة وقدرتها على تقديـم أجيال، تحقق طموح الريادة للحضارة الإماراتية.

نحن نعيش الآن فترة إرساء القواعد لتلك الرؤية الطموحة لمستقبل الإمارات، فلابد وأن ندرك جميعًا كأفراد ومؤسسات، أن لنا دورًا كبيرًا في إنجاح تلك الخطة العظيمة والطموحة وغير المسبوقة؛ فنحن نبني مـن أجل وطـن، والوطن ليس هـو الأرض والرمال فقـط، الوطن هو الإنسان، فنحن نبني الإنسان اليوم؛ من أجل إنسان الغد، ومن أجل أن يصبـح المواطـن الإماراتي نموذجًا تاريخيًّا في العطـاء والبناء.. فعلى كل المؤسسـات الخاصـة العاملة، على أرض الإمـارات والأفراد، أن يكون لهم دور فاعل وإيجابي في تحقيق رؤية مئوية الإمارات 2071.

جريدة الاتحاد– 5 نوفمبر 2017

القراءة حرية

القـراءة، ذلـك السـلوك البشـري الـذي يجعل مـن العقل شـراعًا لإبحارنـا فـي الحياة، نجوب معـه كل موانـئ المعرفة.. فكيف نسـير دون إدراك ذواتنا وإدراك العلاقة المعرفية، التي تربطنا بتلك الكائنات العاقلة، التي ننتمي إليها ونعيش معها (الإنسـان)، وندرك تلك العلاقة التـي تربط بيننـا وبين الموجـودات الأخـرى التي تحيط بنـا، وتؤلف العلاقات التي بيننا كبشر وكل تلك المفردات الكونية، التي في النهاية تشكل الحياة بمنظورها المادي، وندرك مفاهيمها اللامادية، من خلال العلاقـات العقلية، التـي تربط ما بين نتاج تأمـلات العقول في الحياة، والسفر عبر مكونها الميتافيزيقي.

وتظـل القراءة هي تلك الحالة مـن التخاطر ما بين العقول المتأملة والمدركـة للحياة ومفرداتها والمنتجة للمعرفـة، والعقول الباحثة عن المعرفـة، والتعـرف على موقعنـا في الحيـاة والعلاقات، التـي تربطنا بمفـردات الكون الماديـة واللامادية. ومن هنا أقف عند تسـاؤل كثيرًا مـا راود عقلـي، وهو: (هل هناك حريـة قراءة؟ وهل نحـن لدينا حرية فـي اختياراتنا الفكرية؟ وما الفرق بين حريـة القراءة والقراءة من أجل الحرية؟).

أفكار الإنسان ما هي إلا نتاج تفاعل العقل الواعي مع الخبرات المتراكمة، المستمدة من خلال مشاهداته الحياتية وتفاعله مع مفردات الحياة وأفكار الآخرين، التي تشبع بها طوال حياته. من هنا، يتشكل العقل الفردي، ويبقى أمام العقل طريقان: إما أن يكون عقلًا ناقلًا يتسع لمزيد من آراء الآخرين، ويكون انعكاسًا مرآتيًّا لفكرهم ومعارفهم دون أن يكون له حرية ذاتية في الاختيار؛ لوجود خلل في إدراكه أن قيمة العقل لا تكمن في إعادة ترديد أفكار الآخرين فقط، ذلك الخلل الذي يتجاوزه النوع الثاني، وهو العقل المنتج الذي يقرأ لإنتاج فكره الخاص؛ فيصبح عقلًا فاعلًا ومبدعًا، ولكن هل يمكن أن يكون العقل بمعزل عن تأثير التكوين الأولي لأفكاره؟

الحرية تكمن في القدرة على الاختيار.. لماذا تميل إلى أن تقرأ كتابًا في الفلسفة ولا تقرأ رواية، أو تقرأ كتابًا في علم الاجتماع ولا تقرأ في التاريخ. لحظة الاختيار تخضع لذوقك ولاهتماماتك. هنا ندرك أن الحرية في الاختيار ليست مطلقة؛ فأنت تخضع في لحظة الاختيار لمجموعة المعايير، التي شكلت عقلك واستمدت من نشأتك الأولى، وقراءاتك وتعليمك ومجتمعك، وكل ما يحيط بك من مصادر المعرفة، التي ساهمت بصورة مباشرة وغير مباشرة في بناء وتكوين مزاجك القرائي، فهنا أنت خاضع لتلك المعايير؛ فلست حرًّا بصورة مطلقة في الاختيار، وإنْ كان هناك وهم يحيط بعقلك اسمه حرية الاختيار. ولذلك أعتقد أنه من النادر الخروج من إطار المعرفة المنظمة لعقولنا.. لذلك، فإن القراءة اختيار ذاتي حر

جزئيًّا.. لكن بعدها تمتلك حرية الفكرة التي تُولد فتسبح في فضاءات المعرفة لتصل إلى شاطئ الاختيار، ثم تعلن الرحيل في فضاءات أخرى.. وهكذا تمتد متواليات الأفكار، التي تولد وتسكن، ثم تعيد إنتاج نفسها من جديد.

في إطار تلك العلاقة الجدلية بين القراءة والحرية، هل يمكن للقراءة أن تمنحك الحرية بعيدًا عن واقع مكبل؟ وهل يمكن أن تصحح شعور الانحباس داخل قيود حياتية مادية أو لا مادية؟

من منظوري الذاتي، أؤمن أن القراءة يمكنها أن تغير في وجدانك، وتصنع لك واقعًا مختلفًا، حين تنغمس في النص وتتوشح بدثار الكلمات، ويتحول النص إلى سفينة تبحر بك إلى عالم خارج أسوار ذلك العالم الذي تحياه، فتجوب بحار المعرفة والحيوات الأخرى التي يشكلها النص، وتتحرر من القيود التي تحيطك.. ومن هذا الإيمان، طرحت تجربة (القراءة حرية)، التي تتيح للمساجين في المؤسسات العقابية، وتمنحهم عالمًا آخر يتحررون فيه من واقع القراءة والتقيد بنتاج الخطأ البشري، الذي ارتكبوه ليصبحوا داخل هذا القيد المجتمعي؛ لنساعدهم على إعادة الاتزان النفسي والمجتمعي ومعايشتهم تلك الحرية، التي تمنحهم القراءة إياها لتكون نقطة انطلاق لبناء أفكار تغير من الإنسان ليصبح أكثر إدراكًا لواقعه وبناء ذاته الجديدة؛ لتتحول الحرية التي منحتها له القراءة إلى درب جديد، وتتنامى علاقة جديدة ما بينه وبين الكتاب.

ويظل للقراءة سحرها، ونظل متراوحين بين حرية عقلية جزئية في الاختيار عند القراءة، وحرية روحية مطلقة تمنحها لنا القراءة.

جريدة الاتحاد– 11 يونيو 2018

6 دقائق.. قليل من الوقت.. كثير من الحياة

القـراءة هـي تلـك الحالة التـي تصنعهـا علاقـة تبادلية بيـن العقل الإنسـاني والكتاب بـكل أنواعه، الورقي أو السـمعي أو المرئي. وفي يقينـي أن كل مـا يقدم لنا المعرفـة فهو كتاب، وليـس الكتاب فقط هو ذلك الورقي الذي تعودناه. قد يظل ذلك الكتاب المصنوع من الأوراق المغموسـة في رائحـة الحبر، أيقونة القـراءة، وحين نطوي الصفحات نشـعر بفرحة تغمرنا، وكأننا ننتقل من ميناء إلى آخر؛ بحثًا عن المعرفة القائمة بين العقل والروح والكتاب.

الكتاب عقل كتب لنفسه الخلود بين الأرفف، يتحاور معنا ويناقشنا، وأحيانًا يجادلنا، يفتش في عقولنا عن انعكاس أفكاره وتجاذبات رؤيته، حـول الفكرة التي يطرحها بيـن الصفحات، فإن غاب العقـل ماديًّا تبقى أفكاره منيرة ترشدنا نحو المعرفة، وتعبر بنا صحارى الصمت إلى وديان الصخـب الإنسـاني والحيـاة. تنمو في عقولنـا المعـارف وكل يوم تكبر وتتراكـم، حتـى يأتي اليوم الذي تطـرح عقولُنا أفكارَنـا الخاصةَ؛ ندونها في صفحات نكتبها، وننحت على جداريات المعرفة أفكارَنا، فتبقى حيةً بما نتركه مدوَّنًا بكل أنواع التدوين البشري التقليدية وغير التقليدية، التي تتزايد يومًا بعد آخر ولا تتوقف عن النمو والتباين والتجدد.

مـن تلـك الرحلة التـي سـافرتُ فيها عبـر كل الـدروب المعرفية، وقضيـتُ ليالي طـوالًا مبحـرةً في فضـاءات عقول، جـاءت من عمق التاريـخ لتترك بصمتها على حاضرنا، وترسـم لوحات زاهية بالمعرفة علـى جـدران الحضـارة الإنسـانية الحديثة.. كثيـرًا مـا كان حلمي أن نعيـش فـي مجتمـع قـارئ، لا يصبـح فيـه الكتـاب مجرد واحـدة من العلاقـات العابرة فـي حياة الفرد، بل تكون علاقته مع الإنسـان علاقةَ صداقةٍ مستدامة، وإن كنا في الإمارات قد خطونا خطوات واسعة نحو هذا الحلم بكثير من المبادرات القرائية خلال الأعوام الماضية، والتي توجت بعـام القراءة وقانون القراءة.. إلا أن الطريق لايزال طويلًا نحو ذلك الحلم الكبير؛ لذلك أدعو الجميع ألا يتوقفوا عن طرح المبادرات والجهـود، نحو مجتمع يتعايش مع الكتـاب، كما يتعايش مع مفردات الحياة اليومية، التي لا يستطيع الإنسان أن يتخلى عنها.

مـن هـذا الإيمـان المطلـق بقيمة القـراءة، أطلـق شـعار «قليل من الوقت.. كثير من الحياة»، ليكون شعار مبادرة، أدعو الجميع للمشاركة فيهـا بالقـراءة 6 دقائق يوميًّـا، فحين نحرص عليها سـنحقق الكثير من المعرفة، وتنمو العلاقة بين الإنسـان والكتاب.. كل ما علينا هو اختيار كتاب واختيار الوقت الذي يناسـبك يوميًّا لقضاء تلك الدقائق السـت في القراءة، فقد تكفي هذه المدة لقراءة من 6 إلى 10 صفحات، فخلال الشـهر قـد تنتهي من قراءة كتـاب من الحجم المتوسـط، أي ما يوازي 12 كتابًا سـنويًّا. وليسـت الأهمية الكبرى في العدد، ولكنها تكمن في

تغير نمط الحياة بصورة إيجابية، فضلًا عما تقدمه لك القراءة من تنمية معرفية، وقـدرة على امتصاص كل الطاقات السـلبية، التي قد تعصف بك خلال اليوم؛ فالقراءة تعيد لك الحالة الإيجابية الفعالة في تحسين الحيـاة، ويظل العقل في حركة اتسـاع دائمـة.. كل ذلك ينعكس على حياتنا، ويجعلنا أكثر فهمًا وإدراكًا لأنفسنا وللآخرين وللحياة.

لا توجد حضارة نمت وأصبحت ذات قيمة تاريخية للإنسـانية، إلا وكانـت القراءة وتنمية المعرفـة جزءًا أصيلًا من الحيـاة اليومية لأفراد المجتمع فيها.

جريدة الاتحاد– 22 أكتوبر 2018

كن حرًّا

فـي حوار دار معي حـول القراءة والقراء، قالـت محاورتي (غالبية القـراء اليـوم يبحثون عن الكلمـات المختصرة.. ومن يريد الانتشـار، عليـه باختصـار حديثـه واختزاله في جمـل قصيرة ومكثفـة وألا يبتعد عـن اهتماماتهم). توقفت عند طرحها. وتسـاءلت: هـل تغنينا العبارة المختصـرة فعـلًا عـن عمق المعرفـة؟ وهل غيـاب التفاصيـل بالفعل يمكن أن يكون قادرًا على توصيل الفكرة، وخلق دُوامات من الأفكار فـي عقل المتلقـي؟ أليس الوقـوف عند حـد اهتمام القراء هـو تكبيل لحرية الكاتب؟

قـد تتناسـب تلك العبـارات المختزلة مع طبيعة الحيـاة في العصر الحاضر، لما تتسـم به من سـرعة في الحركة والإيقاع المتدافع، وكأن العالـم كلـه في حالة رهان مع الزمن، ولكني أجد أن من يريد أن يُكوِّن معرفـة حقيقيـة، لابد له من القـراءة المعمقة التي تجعـل أرضية الفكر خصبـة بالكثير مـن العناصر المعرفية والتفاصيل الفكرية، التي تسـهم في شـحن طاقة العقل؛ ليصبح قادرًا على إعـادة إنتاج الأفكار، فمهما كان نوع القراءة سواء أكاديمية تعليمية أو حرة، فنحن نحتاج للتفاصيل ونحتاج للغوص في أعماق الأفكار، وإحداث تفاعل ما بين مدخلات

المعرفة ومخرجاتنا الفكرية، التي هي الهدف في النهاية من تلك العلاقة القرائية ما بين العقل والنص المكتوب. ومن دون التعمق والإدراك لتفاصيل النص كافة، ستكون حالة التفاعل منقوصة غير مكتملة الإدراك، وستكون المخرجات أيضًا غير مكتملة حتمًا، وقد تكون في اتجاه خاطئ لا يتناسب مع طرح النص المقروء

القراءة حرية؟.. نعم القراءة هي ممارسة للحرية، وهي صانعة لها فالقراءة الحرة تجعلك تبحر في عوالم فكرية متنوعة ومتباينة، من دون قيود تحريمية وعقائدية.. عندما أسمع أحدًا يقول عن كتاب قرأه (لن أسمح لأبنائي أو لأحد أن يقرأ هذا الكتاب) هنا أقف منزعجة أمام هذا التزمت بالرأي..هذا رأيه الشخصي والتعميم خطيئة كبرى، فهو يُنصب نفسه النموذج الذي يقيس عليه كل العالم، وإنْ دل هذا على شيء، فإنما يدل على خلفية ثقافية وفكرية، لم تخرج من حدود التبعية والجمود الفكري، والنظر إلى الحياة من خلال ثقب صغير في العقل، رغم أن خلف هذا الثقب براحًا عظيمًا من الفكر والمعرفة والحرية، وتأثير هذا الانغلاق واضح في منعه لقراءة هذا الكتاب، الذي من وجهة نظره لا يصح قراءته؛ لأن أفكار الكاتب لا تتطابق مع أفكاره وخلفيته الفكرية، وتتعارض مع معتقداته.. لابد أن تدرك أنك لست كل العالم.

السؤال يا قارئ حرفي: من أعطاه تلك السلطة ليُنصب نفسه قاضيًا فكريًّا يمنع ويجيز؟ وهنا نجد أنفسنا أمام واحدة من أهم الأزمات

المجتمعية والثقافية، التي تكبل خطوات المجتمعات نحو التطور والحضارة، وهي أزمة قبول الآخر المختلف، فكيف ينمو فكر، إذا لم يتعرض لكثير من المعرفة المغايرة والقراءة المتنوعة لمن اتفق أو اختلف معه، والاختلاف دائمًا هو أكثر إيجابية، فهو يخلق فكرًا وتحديًا جديدًا ومعرفة جديدة، تجعلنا نطرق أبوابًا لم نطرقها من قبل، ونفتح طرقًا جديدة للخروج من متاهة الفكر الإنساني.

وانطلاقًا من قناعتي، أدعوك يا قارئ حرفي للتنوع في القراءة وقبول أفكار الآخر حتى تنضج فكريًا وتنفض عنك أفكارًا، رسخت في عقلك، تمنع التنوع حتى تكون صاحب رؤية ومعرفة متوازنة، وبذلك تستطيع الخروج من تلك الشرنقة، التي تضع نفسك فيها ولا تقبل الخروج منها؛ خوفًا من الانسلاخ عن تلك المعتقدات القديمة، لأنها شكَّلت تفكيرك غير القابل للحوار مع الآخر المختلف، والبحث عن أراضٍ مشتركة والخروج خارج إطار المعتقد الذاتي؛ ففي العالم كثير من الأفكار والأشياء التي تستحق أن نتوقف عندها.. الخروج من تلك الشرنقة يجعلنا أكثر قدرة على خطاب الآخر، ونكون أكثر حضورًا على الساحة الفكرية والثقافية بوعي كاف، يجعلنا نحافظ على خصوصيتنا وهويتنا الثقافية، من دون أن نغلق أمام الآخر أبواب الالتقاء عند تلك الزوايا المشتركة بيننا، فمهما اختلفنا، فدائمًا هناك مشتركات تجمع كل العالم. انطلق يا قارئ حرفي لحرية الفكر، التي لا قيود فيها، بل هي حرية كاملة في اختيار ما تقرأ، والتفاعل فكريًا، وطرح القضايا والإشكاليات المسكوت عنها؛ خوفًا من حالة التجمد

الثقافي، التي يقف عندها البعض، وكأنهم حراس قسـاة على العقول. القراءة حرية.. فكن حرًّا.

جريدة الاتحاد– 2 فبراير 2019

الباب الثالث

هموم ثقافية

جناحان للتحليق في سماء المعرفة

لـن يقوى طائر بجناح واحد على الارتفاع عن الأرض، وإن كانت الدولة الرشـيدة أفردت جناحها بكل قوة، حين أطلق صاحب السـمو الشـيخ خليفة بـن زايد آل نهيـان، رئيس الدولة (حفظه اللـه)، مبادرته بجعل عام 2016 عامًا للقراءة، وأتبعتها الحكومة بإطلاق الاستراتيجية الوطنيـة للقـراءة، والبدء في إعـداد قانون القراءة، يبقـى لنا جناح آخر حين نفرده بقوته، سـنحلق في سـماء المعرفة؛ ليسـتمر البناء من أجل الحضارة الإماراتية الحديثة.

هذا الجناح هو الأسرة ودورها في تنمية العلاقة بين الطفل والكتاب؛ لأن الطفـل فـي مراحله الأولى يكون الكون كله مسـكونًا بحضن أمه، يرى الحياة ويتعلم من عينيها، ويسـتقي المعطيات الأولى، التي تكون وجدانـه المعرفـي وإدراكـه لذلك الواقـع الجديد، الـذي تخطى عتبة الحياة إليه، وتتسع دائرته ليكون البيت هو كونه المحيط.

الأسـرة من أهم وظائفها تجاه الأطفال، تنميـة معارفهم وترغيبهم فـي تكوين علاقة سـلوكية بينهم والكتاب؛ ليكـون الكتاب هو إحدى السـلوكيات اليوميـة، وتشـير الأبحـاث إلـى أنه مـن الأفضـل أن نبدأ فـي ترغيـب الطفل فـي القراءة عند سـن مبكرة جدًّا، قبل بلوغه سـت

سـنوات، وخلصـت الأبحاث إلـى أن القراءة للأطفال في سـن مبكرة تعـزز من تكوين تلـك العلاقة بين الطفل والكتاب، كما أنها تؤدي إلى تنمية الطاقة التخيلية للطفل؛ إذ إنها تسـاعده على تكوين صورة ذهنية لما يسمعه.

والقـراءة تعلـم الطفـل الإنصـات والتحـدث، وفهم اللغـة وتثري مفرداتـه اللغويـة، فتكـون النتيجـة انتقالـه إلـى المراحـل الأولـى من التعليم، وهو يمتلك حصيلة لغوية كبيرة جدًّا، تسـاهم في تنمية قدراته التحصيلية في المدرسـة. وقد أشارت إحدى الدراسات إلى أن الطفل يحتـاج إلى 15 دقيقـة يوميًّا من التفاعل الجاد والفاعل داخل الأسـرة؛ لتنمية القراءة وتقوية علاقته بالكتاب.

مما سبق، ندرك أن دور الأسرة في تنمية السلوك القرائي للطفل هو الأكثر أهمية؛ لأنه دور مؤسس، أما دور المدرسة فيبني على ما أسسته الأسـرة، لذلك قد يذهـب ما تقدمه المدرسـة لتنمية السـلوك القرائي للطفل أدراج الرياح، ما لم يكن الطفل قد تم تأسيسه بصورة جيدة في محيط الأسرة.

لا يكون نجاح الأسرة في تنمية العلاقة بين الطفل والكتاب، وزرع حب القراءة في وجدانه، من دون أن يكون مستقرًّا بوجدانها أن القراءة قيمة إنسـانية معرفية تسـاهم فـي التنمية المسـتدامة للطفل، وتسـاهم فـي نجاحـه فـي طريق العلـم، وتكويـن ذاتـه القائمة على أسـاس من المعرفة والعلم، وهذا يؤدي في النهاية إلى خروج جيل قارئ وعارف

وواعٍ بتحديات مستقبل مجتمعه، قادر على الحفاظ على مكتسباته الحضارية والإنسانية، ولديه وعي بمكانه داخل المجتمع البشري.

هكذا نفرد جناحنا الثاني بكل قوته، وحين يطوي الجناحان الطريق للمستقبل، يحلق المجتمع مجتازًا مسافات الفكر والمعرفة نحو تكوين مجتمع المعرفة، الذي هو أساس الحضارة.

ومن هنا أدعو كل الجهات المعنية بدور الأسرة، في المجتمع، بألا تقف عند أعتاب تنظيم الفعاليات القرائية للأسر أو الأطفال، وإنما لنتخطاها إلى تقديم الدعم التنموي والتوعوي للآباء والأمهات، حول دورهم كأسرة في تنمية العلاقة بين الطفل والكتاب، وتقديم المحاضرات التثقيفية والورش التوعوية حول كيفية أداء دورهم المهم في تنمية أجيال المعرفة؛ لنتشارك جميعًا في تقوية جناحنا الثاني، ليتزن تحليق مجتمعنا نحو المستقبل.

جريدة الاتحاد– 5 يونيو 2016

الزمن المأزوم والوعي

في لقـاء مع رفيقة من رفيقات درب الفكر والمعرفة، قالت: «نحن نعيش في زمن مأزوم»، فتداخلت الأفكار في ذهني، لإدراك ماذا يعنى أننا نعيش في زمن مأزوم، فتصفحت ملامح وجه الزمن الحاضر الذي نحيـاه، وتلـك اللحظة الفارقـة ما بين جزءيـن من الزمـن، وهما: عام يمضـي وعام يأتي، أحاول أن أتذكر أيـن التقيتُ ذلك الوجه المأزوم، أبـدو وكأنني أسـير في ضبابٍ رمـادي، ورويدًا رويـدًا.. بدأت ضبابية العقـل تتلاشـى؛ لتبدو لـي ملامح هـذا الزمـن المأزوم، كمـا وصفته رفيقتي.

هو زمن نحياه، تتحول كل معطياته لمجموعة من الأزمات المتتالية، دون هدنـة لالتقـاط الأنفاس ومعالجـة تلك الأزمـات، وتوقفت عند سؤال مُلح، وهو: «من يصنع هذا الزمن المأزوم؟».

إنه الإنسان يا رفيقة الفكر، هو من يحول زمنه من حالة السكينة والرخاء إلى حالة التأزم، التي تعصف بكل منتجاته الحضارية التي يبنيها الزمن؛ فالإنسان عندما فقد إنسانيته وقيمه ودخل في صراعات واهية، دون إدراك لما ستفضي إليه تلك الصراعات، الساعية وراء مجد وعظمة وهمية.. وحين يحول تلك الصراعات؛ من صراعات

من أجل النمو والتطور الإنساني إلى صراعات محصورة في خانة الذات، سواء أكانت تلك الذات فردية أم جمعية بمفهومها الضيق القاصر على مجموعة معينة من البشر(مصنفة عرقيًّا أو دينيًّا أو طائفيًّا أو مجتمعيًّا)، وليس بمفهومها الإنساني الواسع الذي يحوي كل العالم.. ليصبح زمنًا مهزومًا من الداخل وليس مأزومًا فقط. وسط كل تلك التأزمات التي يعيشها الإنسان في مساحته الزمنية الحاضرة الناتجة عن حالة الانعزال، يحدث تفكك في المجتمع، وتشرذم وانهيار للحضارة.

لكن هل من شعاع نور في نهاية ذلك النفق المأزوم؟. نعم، حتمًا، فكما يصنع الإنسان أزمته بيده، فهو قادر أن يصنع الحلول التي تحولها إلى الحالة النقيضة، تلك الحالة التي تتحول فيها المجتمعات، من حالة الانهزام إلى حالة التفوق.

هل نظرنا إلى ألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية، كيف تحولت من مجتمع منهزم داخليًّا وخارجيًّا، ويعيش زمنًا مأزومًا بكل المقاييس إلى مجتمع منتج وواعٍ ومثقف وقوة اقتصادية كبيرة في العالم، كلمة السر هي الإيمان بالمجتمع واليقين بالوطن والتحدي، وإدراك أنك في حالة تأزم، ويجب أن تنتهي.. وزرعوا في نفوس الأطفال قيمة الحضارة، من خلال أنظمة تعليمية، حرصت على بناء عقول واعية بقيمة الحضارة والبناء من أجل الوطن والإنسانية، وظلت مرارة زمنهم المأزوم معلقة على جدرانهم لا ليجتروها حزنًا، ولكن لتظل

فـي ذاكرتهم رمزًا لأمسٍ لا يريدون أن يعود، أمس ظل مأزومًا متفككًا منهارًا من الداخل.

نحن كبشـر قادرون أن نحول زمننا المأزوم إلى زمن مبتسـم منتج صانع للحضارة. كلمة السر هي إيمان الإنسان بوطنه وقيمته ومستقبله، وبأنه جزء من العالم يتقبل الآخر، مؤمنًا بالتسـامح، وبحق الجميع في الحياة، ولنا في وطننا الإمارات النموذج على ذلك، سـاعتها سـتنتهي من قاموسنا كلمة «الزمن المأزوم».

جريدة الاتحاد– 2 يناير 2018

أفكاري بعيدة عنك؟!.. إذًا دعني أقرِّبها لك

«الاختلاف والاتفاق» تلك هي ثنائية التعاطي الفكري بين البشر، فكل ما في الحياة يخضع لمعيار أن يتفق البشر عليه أو يختلفون عليه؛ خاصة في المجال الفكري حين يكون للعقل قوته الحاكمة على لغة الحوار ما بين الناس؛ لذلك تبقى ثقافة احترام الآخر واحدة من أهم سلوكيات التعايش والتحضر، التي تتمتع بها المجتمعات المتطورة والواعية، والتي تبني حضارة ثقافية وفكرية وإنسانية، قبل أن تبني ناطحات السحاب والجسور.. هي ثقافة ليست انتقائية؛ فالآخر هو كل ما هو خارج حدودي الذاتية، مهما كانت ثقافته أو فكره ورؤيته.. ذلك الآخر هو المكون التراكمي، الذي عليه تُبنى الحضارات وتتفاعل الثقافات.

«إذا كانت أفكاري بعيدة عنك فلا ترفضها.. دعني أقربها لك» حكمة لا يُطلقها إلا المثقف الواعي بأفكار الآخرين، والمدرك لقيمة العقل وقوته المبنية على رؤى متباينة تخضع لعوامل كثيرة؛ لذلك يختلف الإدراك من مجتمع إلى آخر ومن فرد إلى آخر، طبقًا لمجموعة الخبرات الحسية واللاحسية الواعية، التي يدركها العقل، فتنشأ اختلافاته المتشعبة على خريطة الذهن الإنساني، حينها لابد وأن نؤمن بثقافة الآخر واحترامها بكل ما تحمل من تباينات في كل مناحي

الحيـاة، سـواء كان هذا الاختلاف عقائديًّا سياسـيًّا اجتماعيًّـا ثقافيًّا أو بيئيًّا إلى آخره من تلك التباينات.

عندمـا أختلـف معك، فـإن قناعتـي بقيمـة الاختـلاف تدفعني أن أقبـل وجهة نظرك ومناقشـتها وسـماعها وفـق أطر معرفيـة واعية، بأن الاختـلاف هو درجة من درجات الحوار الـذي يخلق فكرًا جديدًا، أو يطور فكرًا موجودًا، فقبول الآخر بكل أنماط التفكير وتعدده واختلافه يـؤدي إلى رفـع الرصيد المعرفـي والتطور، الذي يسـعى إليه المثقف الواعي بكل الفضاءات العقلية الإنسانية.

وتبقـى أنت البوصلـة التي توجه آراءك ومعتقداتـك وأفكارك، من دون تعصـب وانحيـاز إلا للفكـر القائـم على مبـدأ الشـفافية الفكرية الصادقـة، وثقافـة الاختـلاف القائمـة علـى احترامي لأفـكارك فتقبل أفـكاري، ولنصنـع بيننا حـوارًا يعيد إنتاج تلـك الأفـكار المتباينة، قد ننتـج معًا فكرًا جديـدًا قويًّا، يجمعنا تحت مظلـة معرفية واحدة.. وإنْ استمر بيننا ذلك الاختلاف، سأبتسم لك وأصافحك، راجية لك مزيدًا مـن الإدراك والمعرفة، وأمضي في طريقـي الفكري وأنت تمضي في طريقـك الفكـري، ونحن على يقيـن أننا يومًـا ما قد نلتقـي عند زاوية أخـرى، علّنـا حينها نتفق ونلتقـي عند نقطة يقين معرفـي واحدة، فمن دون الاختلاف الثقافي والفكري، تصبح تلك الأفكار ضجيجًا متشابهًا يفقـد قيمته، ويؤدي إلى واحدية القطـب الرجعية والتمركز حول رأي مفرد، يقتل التطور والبناء والتنمية الفكرية.

بـدأت مقالي لـك يا قارئ حرفـي بحكمة المثقف، الـذي يرى إذا كانـت أفـكاره بعيـدة سـيقربها للآخـر؛ حتـى نصبـح معًا فـي الفضاء الفكـري ذاتـه، نختلف أو نتفـق.. ولكننا في النهاية نحيـا معًا في عالم واحد، وتحت السـماء ذاتهـا وفوق الأرض ذاتهـا.. أدعوك إلى جعل العقـل الواعي بقيمة الآخر قيمة مضافة لهذا العالم؛ لنحيا حالة سـلام إنساني شامل.

جريدة الاتحاد– 28 يناير 2018

الثقافة والمثقف والتباس المفهوم

«الثقافة» تلك الكلمة التي نسمعها تجري كثيرًا على ألسنة كثير من الناس بكل طوائفهم الفكرية والمعرفية، دون أن يكون لدينا مفهوم واضح لها، فدائمًا تتغير دلالتها في الذهن، بناء على الحالة المعرفية التي جاءت في سياقه؛ لتصبح الكلمة مجرد غطاء لعدة مفاهيم متباينة أحيانًا ومتوافقة أحيانًا ومتكاملة أحيانًا أخرى.

يربط الناس بين مفاهيم الثقافة والمعرفة، والثقافة والحضارة، فمن دون أن ندرك حقيقة المفهوم، سنبني على دلالات خاطئة معارف، قد لا تأخذنا في الاتجاه الصحيح نحو بناء الحضارة. وكلمة الثقافة من المصطلحات التي ظلت حائرة في أذهان المجتمعات، متراوحة بين عديد من المفاهيم، دون إدراك حقيقي لكنيتها، وكلمة الثقافة أيضًا كلمة تعتبر دلالتها الحديثة مغايرة في لغتنا العربية لدلالتها القديمة المعجمية، فأصلها في المعاجم هو كلمة «ثقف»، وهو بمعنى الفطنة والذكاء، وثقف الشيء أي عرفه وأتقنه، ولكن تظل الدلالة اللغوية قاصرة عن التعرف إلى المفهوم الجامع لكلمة الثقافة، رغم أننا حين نستخدم كلمة الثقافة في حياتنا اليومية، فنحن نركن إلى المدلول اللغوي في لغتنا العربية لكلمة الثقافة بأنها معرفة الشيء، فحين نطلق

كلمة «إنسان مثقف» يتداعى في الذهن صور القارئ، الذي يمتلك جزءًا من المعارف والفكر، وإن حاولنا أن نجد استخدامًا لكلمة الثقافة في تاريخنا العربي، لن نجد إلا فيما ندر، ولكن في العصر الحديث بدأنا نستخدم كلمة «الثقافة» بصورة مكثفة.

الإنسان في لحظة ميلاده الأولى، يولد صفحة بيضاء نقية صافية، لا يمتلك أي ملامح ثقافية، يتشابه مع أقرانه.. ومع الوقت يبدأ في اكتساب الخبرات، من خلال امتصاص العادات والسلوكيات واللغة، وكل ما يتعلق بآليات الحياة من المحيط الذي ولد فيه، ويبدأ رحلة التغيير مع الآخر المحيط به، ويتحول إلى إنسان مثقف، وتكون مراحل حياته الأولى هي مراحل الامتصاص، حيث يكون فيها مجرد صفحات يكتب فيها الآخرون، حتى يبدأ العقل الفردي لهذا الإنسان في الوعي وإدراك الذات والتعرف إلى الحدود، التي تفصله كفرد عن محيطه.

لندرك ذلك، علينا أن نتعرف إلى مفهوم الثقافة، كما عرَّفها إدوارد تايلور في كتابه «الثقافة البدائية»: «الثقافة هي تلك الوحدة الكلية المعقدة، التي تشمل المعرفة والإيمان والفن والأخلاق والقانون والعادات، بالإضافة إلى أي قدرات وعادات أخرى يكتسبها الإنسان بوصفه عضوًا في المجتمع».. إذًا كل إنسان هو مثقف؛ إذ لا تنحصر الثقافة في المفهوم الضيق الذي يلتبس عند الكثيرين في المعرفة والتحضر ومواكبة العصر، بل إن الإنسان القديم قبل أن تنشأ الحضارة الإنسانية الأولى كانت لديه ثقافة، فقد سبقت الثقافة

الحضارة؛ فالثقافة إطار عام يحوي فيه كل تلك الخبرات التي يكتسبها الإنسان في حياته والمعارف، والتي تتحول إلى عادات وسلوكيات وقوانين ومفاهيم وطقوس حياتية، قامت عليها قدرة الإنسان على بناء الحضارة؛ فالإنسان حين جاء الأرض بلا هوية حضارية، تشكلت هويته وثقافته مع الوقت.. ومع اتساع رقعة تعامله مع معطيات الحياة، وتطوير محيطه وتطويعه ليتناسب مع احتياجاته.. ومع التراكم، بدأت تظهر الحضارة الإنسانية الأولى.. ومع انطلاق الإنسان إلى عدة بقاع من الأرض واستكشاف العالم حوله، بدأت تتغير الظروف المحيطة به، وتشكلت تباينات بين تلك الحضارات الإنسانية التي خرجت من رحم الحضارة الأولى، فكان للطبيعة دورها الكبير في هذا التباين ما بين الحضارات؛ فالثقافة تنشأ من العلاقة ما بين الإنسان والموجودات المحيطة به.. ومع اختلاف تلك الموجودات والطبيعة، تختلف تعاملات الإنسان فتتباين ثقافات، وتنشأ حضارات مختلفة ومتباينة.

ولكن هل يمكن أن يتحول الإنسان ثقافيًا بصورة كاملة؟ قبل الإجابة عن هذا السؤال، لابد أن يسبقه انغماس كامل في المعرفة والبحث وراء الفهم للحياة المحيطة والعادات والتقاليد المتراكمة، التي تحكم المجتمع وتحكم الفرد، الراغب في هذا التحول والاندماج مع الثقافات الأخرى، لإدراك الآليات التي لابد من اتباعها للوصول إلى حالة التغيير في ثقافة المجتمع، ومن ثم نستطيع أن ندرك إجابة السؤال ونسبة التحول التي يمكن أن نحدثها.

إن إزالة اللبس في المفاهيم يقودنا إلى تكشف الدلالات والتعرف إلـى الروابـط، التي تربط مفهـوم الثقافة مـع كل روافده؛ ممـا يتيح لنا الفرصة في أن نستوعب آليات التعايش بين الثقافات المتباينة، والعمل على بناء علاقات سلام بين كل الثقافات، التي تحيا على الأرض، علّنَا يومًا ما نصل إلى السلام المنشود لكل العالم.

فـي الإمـارات، نمارس جهـودًا كبيرة فـي التحول الثقافـي، الذي يتماشـى مـع التطـور الكبير فـي العالـم، مع الحفـاظ علـى موروثاتنا الخاصة، والاندماج في الحركة المتسـارعة للتطور التكنولوجي الذي يؤثـر قطعًا على ثقافـة المجتمع.. وأنهي الجـزء الأول من المقال بأن أطرح عليكم تساؤلًا: «هل ترون أننا في الإمارات، لا نزال بحاجة إلى تغييـر فـي ثقافتنا من عـادات وتقاليد وموروث قيمـي؛ حتى يمكن أن تسـتمر رحلتنا نحو المستقبل؟ أم أننا قادرون على تجاوز الحاضر إلى المستقبل دون تغيير؟ ألتقي بكم في الجزء الثاني من المقال؛ لنتحدث فيه عن العلاقة ما بين المثقف والمجتمع.

جريدة الاتحاد– 10 يونيو 2019

الفجوة بين المثقف والمجتمع

من أهم الإشكاليات التي تواجه الثقافة والبناء الثقافي للمجتمع، هي إشكالية تبسيط الثقافة حتى تصل إلى الناس وإلى المجتمع، وهنا يبرز دور المثقف في أن يقرِّب مفهوم الثقافة لأفراد المجتمع.

لماذا لا يقبل الناس دائمًا على المواضيع الفكرية الجادة والعميقة التي تُطرح، في حين نجد أن هناك إقبالًا كبيرًا على المواضيع البسيطة؟.. ويقودني هذا السؤال إلى سؤال كاشف: هل هناك فجوة بين المثقف والمجتمع؟ نعم، هناك فجوة، وهذه الفجوة جزء من أسبابها المثقف نفسه، لأنه لا يستطيع أن يصل بإنتاجه الفكري إلى مجتمعه، فعلى سبيل المثال كتاب قصة الفلسفة لـ«ويل ديورانت»، الذي يحكي تاريخ الفلسفة، لا يقرأه غالبًا المتخصصون والنخب، في حين أن رواية «عالم صوفي» لـ«جوستاين جاردنر»، التي تقدم الفلسفة في صورة رواية مشوقة، تُرجمت إلى أكثر من خمسين لغة، وأن كل فئات المجتمع المهتمة بالقراءة قد قرأوها.. لندرك أننا نحتاج إلى أن نقدم الثقافة في إطار أكثر جذبًا للإنسان العادي، لنرتقي بعقله ونزيد مستوى الوعي لديه، من خلال عمل المثقف.

إن الإشـكالية الحقيقية تكمن في المثقف غير القادر على فهم لغة مجتمعـه؛ لذلك نجد هناك غربة كبيـرة بين المثقف والمجتمع، يمكن التخلص منها، إذا استخدمنا لغة قادرة على توصيل أفكارنا للمجتمع، ولذلـك لابد أن نبحث وراء ثوب جديد نضع فيه الفكر والثقافة؛ حتى نؤثر في المجتمع.

فـي «معـرض أبوظبـي الدولـي للكتاب» هـذا العـام، لاحظت أن الروايـات وكتب التنميـة الذاتية، هي أكثر الكتـب مبيعًا في المعرض؛ لأن لغتهـا هـي لغة الناس، في حين نجد كتب بعـض المفكرين الكبار لا يبـاع منها إلا نسـخ محدودة، لأن كثيرًا من هـذه الإنتاجات الفكرية تقدم بلغة صعبة ومتعالية أحيانًا، تجعل الناس تبتعد عن الثقافة العميقة والقـراءة فـي القضايـا الفكرية الكبـرى.. بالتأكيد لابد أن نسـتثني من ذلك الكتـب ذات الطابع الأكاديمي والموضوعـات التي تهم النخب الثقافيـة، ولكن الهم الأكبر هو الإنسـان العـادي الذي نحتاج أن نصل إليـه، ونرفع من وعيه؛ لذا، يعد جزءًا مهمًّا من عمل المثقف أن يحبب الناس في الثقافة والقراءة والبحث عن المعرفة.

كمـا أن دور المثقـف الحقيقي أن يغير توجهـات الناس، وأن يرفع مـن وعـي المجتمع، من خلال الجذب في أسـلوب طرحـه لأفكاره، وأن يقترب من مجتمعه؛ حتى يكون فاعلًا ويغير وينجز، وهذا لا يعني تسـطيح المثقـف لفكره، بل كل مـا نحتاجه فقط أن يوضـع هذا الفكر داخـل إطار، يسـتطيع كل أفراد المجتمع اسـتيعابه ويرتقي بهم ويرفع

الوعـي لديهم. فإذا لم يسـتطع المثقف ذلك، فمـا الفائدة من وجوده، فهو تمامًا مثل الطبيب الذي لا يعالج.

هـل عمـل المثقف أن ينجـز الكتب لنضعها على الرفـوف، وكتابة مقـالات لا يقرأهـا أحد، وطـرح مواضيع لا تهم النـاس، فيتحول إلى شـاهد لا أثر له على المجتمع، ويتنـدر المجتمع حين لا يفهم ما يقال (كلام مثقفيـن لا نعـرف فيه، ولا شـأن لنا به).. ليـس هناك أصدق من تلك الجملة، تعبيرًا عن الفجوة، التي بين المثقف والمجتمع.

ولذلـك، فأنـا فـي ختـام مقالي، أطـرح عليكـم مبادرة، سـبق وأن طرحتهـا فـي محاضرتي حـول الموضـوع نفسـه بـ«معـرض أبوظبي الدولـي للكتاب» هـذا العام، وهي مبـادرة موجهة إلـى القائمين على الثقافـة من مؤسسـات الدولـة المعنية بالشـأن الثقافي، والمؤسسـات الثقافيـة الخاصـة وإلـى كل مثقف، بتشـكيل خلية عمل تقـوم بتقديم أفـكار عمليـة حول كيفيـة تقديم ثقافة جاذبة وملامسـة لحيـاة الناس، بلغة يفهمونها وتتناسب مع واقعهم وتطلعاتهم، ونقدم من خلال ذلك خطـة عمل؛ لكـي يكون أمامنـا ثقافة جديـدة، تجذب عـددًا كبيرًا من الشرائح، التي كانت لا تقترب من قراءة الكتب وحضور المحاضرات والندوات الثقافيـة الحقيقية، وهذه المبادرة أضعها بين أيديكم وأدعو الجميـع للمشـاركة.. معًا نرتقي بوعـي مجتمعاتنا؛ لكـي نكون صناع معرفة لا مستهلكين فقط لها.

جريدة الاتحاد– 9 يوليو 2019

المفاهيم المغلوطة آفة العقول

نعيـش وتعيش معنا كثير من المفاهيـم المغلوطة، التي تعطل تنوير العقل المجتمعي وتوقف مسيرته نحو ثقافة حقيقية واقعية، تجعل من العقل طاقة تجدد فكري ومعرفي وقيمي، وتجعلنا كمجتمع نتدفق في اتجاه الحضارة البشرية الجامعة، وتصبح ثقافتنا معادلة ذات وزن كبير في معادلات الثقافة الإنسـانية، وليس مجرد مجتمع مستهلك للمعرفة والعلم. ولكي نسـتطيع أن نحقق ذلك الجزء التشـاركي في المعادلة، لابد وأن نتخلى عن ثقافة النقل، وننتقل إلى ثقافة النقد.

النقد واحد من تلك المفاهيم المغلوطة التي تترسخ في وجداننا، فالنقد كمفهوم مجتمعي هو أن توجه سهام السلبيات تجاه الآخر، سواء كان هذا الآخر فكرة أو شخصًا أو أي كيان خارج حدود الذات، ولكن النقد حقيقة هو فعل أعمق من تلك الرؤية المسطحة، التي ترسخت في أذهان غالبية المجتمع؛ فالنقد هو التعبير عن الرؤية الذاتية حول فكرة ما، أو شخص ما، أو أي موجود في الحياة.. تعبير ينتج من تحليل ورؤية للإيجابيات والسلبيات معًا، والحركة الفكرية التي أنتجت الفكر أو السلوك، وتأثير المحيط في هذا المنتج الفكري، وإجراء تفاعل بناء مع تلك الرؤى النقدية من خلال الحوار الفكري،

الذي حتمًا ينتج لنا فكرًا أكثر فاعلية وإيجابية، ويحولنا جميعًا إلى شركاء في صنع الأفكار والرؤى، التي تنعكس إيجابيًّا على الحالة الإبداعية والخلاقة للأفراد والمجتمعات، وهذا يقودنا إلى بناء العقل الناقد.

إن آفة بعض المجتمعات هي إسكات صوت العقل الناقد، كلما أطل برأسه من عقل طفل يمارس فطرته، فنحن إنْ أردنا أن نرى الأسئلة الفطرية الوجودية، التي تتشكل مع الإنسان، دعونا ننظر للطفل، وهو يطلق أسئلته التي نضحك عليها؛ لأننا لا ندرك قيمتها وعمقها. من منكم لم يسأله طفل صغير: (كيف جئت للحياة) أو (الله، ما شكله وأين هو)، والكثير من تلك الأسئلة الوجودية، التي نجد جُلَّ الآباء ينهرون أبناءهم أو يسخرون منهم عند طرحها، فيطلقون السهم الأول على العقل الناقد، الذي هو العقل الفطري من وجهة نظري، ثم تتوالى السهام قاسية على ذلك العقل الغض في مرحلة تكوينه؛ حتى يصل به الخوف إلى درجة التقوقع في ركن مظلم من زوايا المخ ويلتحف بالصمت والخوف.. وحين يصبح الطفل شابًّا يتحول إلى جزء من منظومة نقلية، تتلاشى فيها جدلية البحث، وراء الخروج من صندوق النمطية الفكرية، وتموت فينا الدفعة الفلسفية لبناء الثقافة والمعرفة.

سؤال أطرحه في نهاية المقال، ولي فيه كلام آخر: «متى نعيد للفلسفة مكانتها في بناء العقل ونعيدها إلى مناهجنا التعليمية؟»،

الفلسـفة واحـدة مـن أهـم المفاهيـم المغلوطـة فـي العقـل الجمعي للمجتمع، ولنا في هذا الأمر كلام آخر.

جريدة الاتحاد – 22 يوليو 2019

الباب الرابع

قضايا مجتمعية

انعكاسات..

مرآة الحياة فيها انعكاس لكثير من البشر، بكل اختلافاتهم وأنواعهم وثقافاتهم، وحين نقف أمامها نجد وجهنا متصدرًا واجهة المرآة، ولكن خلف هذا الوجه سنجد وجوه الآخرين تلقي ظلال معارفها عليه، فما نحن إلا حزمة انعكاسات معارف الآخرين في مرآة العقل، تتشكل ملامحنا من آبائنا وأجدادنا، وتتشكل عقولنا من انعكاس أفكار الآخرين على عقولنا. حين ننظر في مرآة الذات، نقرأ ونفهم ونعي تلك الوجوه والمعارف المنعكسة من زوايا المرايا المختلفة، حينها ندرك ذواتنا، ونكتشف أننا نسخ لكل ما ورثناه من معارف وعلوم حضارات سابقة، وكل ما في العصور التاريخية من فكر وأشخاص، مع تطور كل ما أنتجه الإنسان، وهنا نقف عند مفترق الطرق، إما أن نكون نسخًا متجددة ومتطورة تعيد إنتاج أفكارها، أو نسخًا مكررة دون إبداع أو تجديد أو تطوير. الأولى تصنع الحضارة بملامح خاصة ومتفردة، وأما الثانية فما هي إلا تابع لحضارة أخرى، ويظل المجتمع مشوهًا بلا ملامح، فهو نسخة مكررة من حضارات أخرى.

حين نقف أمام مرآة الذات لنقرأ ما في دواخلنا وعقولنا، قد تصيبنا الدهشة أحيانًا، ونرى أن هناك بعض الأفكار والتفاصيل التي قد تبدو

غريبة عنا، ونشعر تجاهها بغرابة لا تنفي وجودها، وكونها جزءًا من كياننا.

في تلك اللحظات التي نرى فيها انعكاسات ذاتنا على المرآة، ندرك بعض ما كنا لا ندركه سابقًا، ونتعرف إلى انحناءات جديدة في الذات كنا نجهلها، قد تكون انعكاسات قديمة، ولكنها كانت في خبيئة المعرفة غير مُدرك وجودها، ربما هي تكونات لانعكاسات أفكار أخرى، زارتنا ورحلت وتركت أثرًا فينًا، فتفاعلت مع مكنوناتنا، وأنتجت شيئًا جديدًا مختلفًا لم ندركه، تكون في هدوء وصمت داخل عقلنا، فنغرق في الدهشة لحظة التعرف عليه واكتشاف وجوده، نعيش لحظات دهشة طفل، يستكشف العالم للمرة الأولى، وكأننا لم نمر من هنا يومًا.

وأنا أقرأ أحد فصول كتاب (تيودور أدورنو «من النقد إلى الاستطيقا») لعدة كتب، توقفت عند جملة وردت في أحد الفصول، التي تتحدث عن حضور فكر «أدورنو» في نظرية السلطة لدى ميشيل فوكو، وفلسفة التفكيك عند جاك دريدا (إنه حضور الصوت، الذي يكون حاضرًا وغائبًا في آن.. واحدًا ومتعددًا معًا، حاملًا للاختلاف ومغايرًا لنفسه في الوقت نفسه، وهو حضور شبح الأب العائد من الماضي، ولكن الحي والمؤثر أكثر من الحضور الواعي والمباشر، إنه إذًا ذلك الأثر القادم من زمن ما ليعيد إنتاج الماضي في الحاضر).. إنها تلك الحالة التي تنتابنا، حين نقف أمام مرايا الحياة فنرى وجوهًا،

قـد رحلـت عنا منـذ زمـن وكأنها تعـود، وفـي عيونها نلمـح رغبة في اسـتكمال أعمـال لم تكملها في الحيـاة، وكأنها تعود إلينـا من عالمها الآخر، تمسـك بأيدينا، ترشـدنا إلى بعض المنحنيـات، التي يجب أن نتخطاهـا فـي الحياة.. وجـوه غابت في ظلمـة العالم الآخـر، ولكنها ظلت باقية في وهج المرايا، منعكسة بأفكارها وآثارها فينا، وتكويناتنا الذاتيـة التي شـكلتها أثناء حياتهـا، فتعود في لحظات اسـتدعاء، حين لا نقدر على قراءة المرايا الحياتية.

وهنـاك وجـوه مازالت تنبـض بالحياة، ولكنهـا غائبة عـن مرايانا، فهي وجوه مطفأة تمتص منا النور، ولا تعكسـه لأحد، مثل ثقب أسود يمتـص النور من الكـون. ومثل هؤلاء، لا نجد لهم انعكاسًـا في مرايا ذاتنـا، فتظـل وجوهًـا غائبة رغـم حضورهـا، ولا يبقى لنـا إلا الوجوه الحاضرة رغم غيابها.

جريدة الاتحاد– 2 إبريل 2018

سلام عليك أيتها الإنسانية

قـد يخيـل للبعـض أن التشـابه والتطابـق مرادفـان لدلالـة واحدة، ولكنهمـا رمـزان لدلالتيـن مختلفتيـن، فالتشـابه هـو تماثـل في بعض الصفـات لذاتيـن مختلفتيـن، أما التطابق فهـو التماثل التـام بين ذاتين، هما فـي الحقيقـة صورتان لذات واحـدة، هذا من منظـوري الخاص. فـي المنظـور الفكـري، التطابـق ينفي صفـة الاختلاف ما بيـن الذاتين المتطابقتين، ويظل بعدًا ذا وجه واحد. أما التشابه فإنه يحمل بين أناملـه الاختلاف؛ فيحـدث التناغم والتفاعل، الذي قـد يؤدي إلى خلق جيل جديـد مـن الصفات؛ أي يحـدث حالة تلاقـح تؤدي إلـى منتج فكري جديد؛ لذلك فإن التشابه يخلق الحيوية والإنتاج وإعادة بلورة الأفكار، ويؤسس للإبداع، ويبقى التشابه والاختلاف وجهين لعملة واحدة.

قـال هيراقليطس (إنك لا تنزل للنهـر الواحد مرتين) فالنهر يجري ويتغير الماء والإنسـان نفسـه يتغير، فكل لحظة تمر عليك، تتبدل فيك ماديـات أو أفـكار، وتنمـو خبراتـك عـن اللحظـات، التي تسـبق هذه اللحظة الآنية.. بالتالي، فإن الاختلاف هو القيمة الأساسية في الحياة، وأنت لست أنت كما كنت منذ لحظات؛ لندرك أن الاختلاف والتشابه قيمتان متغيرتان، في حين أن التطابق قيمة وهمية.

نسير معًا نحو أهم قيمة في الوجود، والتي تسمح لنا بالتعايش في سلام مع العالم، وهي قيمة إنسانية خالصة لا تخص ثقافة واحدة، بل تخص الإنسانية جميعها، وقبول الآخر بما تحتويه هذه القيمة الجامعة من مجموعة قيم أخرى، تنبع من بئرها الذي لا ينضب، ومنها: التسامح والتعايش والمحبة، وقيم أخرى قد تولد مع تزايد الخبرات البشرية وانفتاح العقل، وإعادة استكشاف التجارب الإنسانية، وبلورة مضامينها القيمية المختلفة التي تولد.

وحين ننظر إلى خريطة العقول والثقافات التي تحيط بنا، نجد أن هناك عقولًا منغلقة، تحاول أن تلغي وجود الآخر، ولا ترى فيه إلا الضد الذي يجب أن يختفي، ومن هنا ولدت أكبر آفة في عصرنا الحديث، والتي صنعت التطرف وجعلت بعض العقول المنغلقة تدور في فلك التطابق الوهمي، ومن يخرج من تلك الدائرة فهو خارج عن الجماعة المصطفاة. تلك الجماعات المنغلقة على نفسها، والمنكفئة على ثقافتها، والتي تحوط عليها خشية الاختلاط بالثقافات الأخرى، وكأن الثقافات الأخرى فيروس سيصيب ثقافتهم بالموت، دون أن يدركوا أن سنة الحياة هي التعاطي الفكري بين الثقافات والحضارات المختلفة؛ فكلنا شركاء في الإنسانية، نعيش على الأرض نفسها وتحت السماء نفسها، تختلف أفكارنا أحيانًا وتتشابه أحيانًا أخرى.

كل الحضارات التي حاولت القيام على فكرة الانغلاق، وعظمت من فكرة التكرار المتطابق بين أفرادها، لم يكتب لها النجاح، إلا حين بدأت تدرك قيمة الانفتاح على الثقافات والحضارات الأخرى،

والحـوار الفكـري بيـن مختلف الـرؤى والقيـم الثقافيـة والمجتمعية والحضارية، نحن جميعًا شـركاء في الإنسـانية، وهي الحضارة الأعم والأشمل.

لابد أن نعايش الاختلاف ونلاقح المتشابهات؛ لنصنع إبداعًا يخدم الجميع، لنصل إلى حياة أفضل، وتأتي البداية بأن نقبل اختلافنا الذاتي داخـل ذاتنـا الفردية، فأنت لسـت أنت الذي كنت عليه منذ سـنوات.. لابـد أن ندرك ونقبـل هذا الاختلاف، ونتخلص مـن عقدة الحنين لما كنـا عليه والحـزن على الماضي، فتقبل تحولاتك الفكرية والسـلوكية والمعرفية، فهي دائمًا محصلة لقيم مضافة لخبراتك الفردية.. ومن هنا نتعلـم كيف يمكـن أن نقبل الآخر ونحيا معًـا، دون إخلال بموروثات ثقافية تميز حضارتنا، ودون تقليل من موروثات ثقافية تميز الحضارات الأخـرى؛ فجميعنـا نتعايش معًـا ونحيا معًـا لنصل معًا إلـى الحضارة الأعم والأشمل، وهي الإنسانية.. فسلام عليك أيتها الإنسانية.

جريدة الاتحاد– 31 يوليو 2018

الحِجاج والخروج إلى المستقبل

اليوم أفتح معكم باب الحِجاج (الجدال) ليسهم في تغيير كثير من جمود التمترس خلف الأفكار الذاتية المقولبة في إطار من القداسة التاريخية للكثير من الأفكار التي تؤذي العالم ولا تكرس للحوار. نحن نحتاج للحوار كي نفهم ونتقبل الآخر ونحترم اختلافاتنا. أزمتنا في العالم كله أننا نفقد تلك اللغة المشتركة للتقارب والتواؤم مع الآخر.. كيف يمكن أن يتحقق ذلك للأجيال الناشئة، التي تحمل مستقبل العالم، من دون أن تكون لهم القوة المنطقية في الحوار مع الآخر، ومواجهة فصاحة بعض المنغلقين على أفكارهم السلبية الهادمة، لكل ما هو خارج إطار معتقدهم الإيماني والفكري؟

مرّ الحجاج تاريخيًا بعدة تقلبات انتمائية، بداية من انتمائه الفلسفي ثم المنطقي ثم تحوله حديثًا للانتماء لعلم النفس وعلوم البلاغة واللغة، متحررًا من النخبوية الفكرية إلى الربط بينه وبين الحياة اليومية للإنسان البسيط، ومن التعريفات التي وردت عن الحِجاج حديثًا ما قاله برلماني: «الحجاج هو درس تقنيات الخطاب، التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد من درجة التسليم».

وهنا نجد أنفسنا أمام خلط يحدث كثيرًا، بين مفهوم الحِجاج ومفهوم البرهان، وهذا الخلط يقع فيه الإنسان المثقف غير المتخصص، وهذا هو هدفنا من كل ما نقدم من فكر، فما قيمة الفكر ما لم يصل للإنسان المثقف غير الأكاديمي، والذي يكون أكثر التصاقًا بالمجتمع، وبالتالي أكثر تأثيرًا فيه، فإن نجحت النخبة الفكرية في زرع المفاهيم الصحيحة في عقله، نضمن بذلك انتقالها نحو العقل الجمعي للمجتمعات من خلال مثقفيها، ويظل هناك فارق جوهري بين البرهان والحِجاج، وهو الحوار، فالبرهان لا يتطلب حوارًا واتصالًا ما بين القائم على برهنة قضية ما أو فكر ما، والجمهور، كما هو الحال في القضايا العلمية والنظريات الرياضية والمنطقية؛ كونه يتعرض لقضايا علمية حقيقية، قد لا تقبل التأويلات، ولذلك يظل دور المتلقي سلبيًا. أما الحجاج، فهو يشترط وجود حوار بين الأطراف، يعتمد على الطرح والتساؤل والإجابة والبلاغة اللغوية البسيطة التي تقترب من ثقافة الجمهور؛ فالحِجاج يقدم رؤية وليست حقيقة علمية لا تقبل التأويل.

وتعرف «جاكلين روس»: «البرهان: هو عملية عقلية تثبت استدلاليًا حقيقة قضية، وهكذا يكون التسلسل المنطقي في الجبر والهندسة برهانيًا خالصًا، والحجاج: إنه جملة من الطرق الخطابية التي تستخدم في سبيل الحصول على موافقة أذهان الجمهور على أطروحة معينة»؛ لذلك كي يكون الحِجاج ناجحًا، لابد من وجود حوار ما بين المحاجِج والجمهور، ومن هنا ننتقل إلى شعبوية مثل هذه القيمة الفلسفية العميقة، فحين نفكر في أن نلقي نظرية شاملة على

عصرنا، نجد أن الحِجاج وسيلة حاضرة بممارستها في مناحي حياتنا اليومية كافة، وغائبة كمفهوم وإدراك ووعي لتطوير القدرات الحِجاجية للمجتمعات؛ خاصة العربية التي تواجه حالة من تفشي الأفكار الغريبة خلال الفترة الماضية، ليس من أبناء الحضارة الغربية فقط، بل من أبناء الحضارة والثقافة العربية.

وحين نتجول في شبكات التواصل الاجتماعي، نشاهد حجم الحِجاج الذي يحدث يوميًّا على الصفحات ما بين أنصار فكرة ما ومعارضيها، ومن خلال قوة الإدراك لمفهوم الحِجاج وآلياته، استطاع المتطرفون أصحاب الفكر «الداعشي» أن يجندوا الشباب المغيب، الذي لا يحمل من الوعي الكافي والمعرفة لمقارعة الحجج، التي يسوقها هؤلاء المتطرفون من خلال قوتهم الحِجاجية، لذلك الانتقال بالحِجاج وآلياته إلى الإنسان العادي والبسيط، أصبح مطلوبًا بشكل قوي خلال السنوات الأخيرة؛ لتجنب حالة التوغل الفكري للتطرف في عقول الشباب والأجيال الناشئة، ولا نجد طريقًا لهذا إلا التعليم.

يفترض المفكر «فيليب بروتون» أن في الفعل الحِجاجي، يكون الشخص الذي يخضع له مدركًا أنه مندمج في موقف تواصلي، لذلك لابد أن ندرك العلاقة ما بين الحِجاج والتواصل.. ولذلك، فإن الحِجاج لا يخرج من إطار عناصر التواصل والمعروفة بنموذج شانون للتواصل (مرسل – رسالة – مستقبل)، ولكن ببعض التفاصيل، فالحِجاج يحتاج بداية أن تكون الرسالة ذات علاقة مباشرة بفكر واهتمام الطرف الآخر

أو المستقبِل، فمن دون ذلك سنحتاج إلى مجهود؛ لتحفيز عقل الآخر في الوصول لقناعة أن هذا الأمر يهمه، ولابد من الحوار حوله والاقتناع به. وعملية التواصل الحِجاجي كما صنفها «بروتون»، وسماها بالمثلث الحِجاجي، تتشكل من رأي الخطيب الأول، والخطيب الثاني، والحجة التي يدافع عنها الخطيب الذي طرحها. وذلك المثلث نجده واضحًا في النماذج الحِجاجية البسيطة، التي نتعرض لها في مواقع التواصل الاجتماعي، والتي أصبحت تسيطر على العالم، ففي عام 2017 قامت الشركة الإعلامية «We Are Social» ومنصة إدارة حسابات التواصل الاجتماعي Hootsuite بعمل دراسة حول مستخدمي شبكة التواصل الاجتماعي حول العالم، فرصدت الدراسة أن 3 مليارات شخص يستخدمون شبكات التواصل الاجتماعي حول العالم؛ أي أكثر من 40٪ من سكان العالم، وأن هذا الرقم في تزايد مستمر.

ومن هذا الرقم، ندرك الدور الخطير المهم جدًّا الذي تلعبه شبكات التواصل الاجتماعي في خلق نماذج اتصال بين البشر، ومما لا شك فيه، أننا سنجد الملايين من العلاقات الحجاجية، التي تؤثر بشكل مباشر أو غير مباشر في توجهات المجتمعات، من خلال التأثير في التوجهات الفكرية للأفراد، ولا ننس الدور الذي تلعبه شبكات التواصل الاجتماعي في توجيه الأحداث السياسية في الاتجاه، الذي يريده من يعبث بعقول المجتمعات باستخدام النماذج النفسية والمنطقية الحجاجية في ذلك، والتي من أخطرها

ما يستخدمه الكثير من المتحدثين، والتي تعتمد على الإقناع بواسطة التأثير القسري، وتتطلب بالضبط حمل المتلقي على الاعتقاد بأن له كامل الحرية في الاختيار، ولكنه في حقيقة الأمر يسير جبرًا في طريق، نحو هدف واحد، وهو القناعة بما يقدمه المحاجج.

نحن ندرك الآن أن التواصل الإنساني أصبح متسعًا بحجم العالم، من خلال وسائط الاتصال المختلفة، وخاصة شبكات التواصل الاجتماعي، وأن تأثيرها على توجهات المجتمعات الفكرية والثقافية مهم جدًّا؛ لذلك لابد من وضع إطار تعليمي، نعمل من خلاله على تقوية المهارات الحِجاجية للشباب؛ خاصة في مجتمعاتنا العربية، والتي تتعرض لهجوم حاد من العقول الظلامية؛ لذلك فإنني أدعو لتدريس الحجاج كمادة مستقلة في المدارس داخل الدولة، بل أتخطى بتوصيتي هذه دولة الإمارات العربية المتحدة، وأدعو بها كامل المنطقة العربية، وألفت النظر إلى أن هناك قليلًا من الدول العربية، والتي تعتمد الفلسفة والمنطق والحجاج جزءًا من مناهجها التعليمية، ولكنها لم تحصن شبابها من تأثير ما يواجهونه على شبكات التواصل الاجتماعي بشكل كافٍ؛ لذلك لابد أن ندرك أن هناك خللًا ما في طريقة تدريسها، يحتاج إلى الدراسة والتحليل. ومن ثم، لابد من وضع إطار استراتيجي لتنمية القدرات الحجاجية للطلاب.

جريدة الاتحاد– 23 فبراير 2019

المرأة والعنف.. شرخ في جدار المجتمع

إن أسوأ ما يمكن أن يترك شرخًا عميقًا في المجتمع، هو شعور طرف من أطرافه بالظلم والانكسار، وذلك هو الإحساس الذي تشعره المرأة المعنفة. ودولة الإمارات العربية المتحدة لم تتأخر عن منع ذلك.. فمنذ زمن بعيد، أقرت الدولة القوانين التي توقف العنف ضد المرأة، وآخرها صدور قانون الحماية من العنف الأسري، وغلَّظت العقوبات وأنشأت المراكز والمؤسسات الحكومية، ودعمت المؤسسات غير الحكومية لمناهضة العنف ضد المرأة.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: هل هذا كافٍ لمنع العنف ضد المرأة؟

بالتأكيد، كل هذا غير كافٍ؛ لأننا نحتاج إلى الحاضنة المجتمعية الواعية، فالقوانين تعمل على معالجة النتائج، والحاضنة المجتمعية الواعية تمنع حدوث المقدمات، لذلك يبقى الوعي المجتمعي هو العنصر الأكثر أهمية في منع العنف ضد المرأة.

وتخبرنا كثير من الدراسات التي أُجريت على النساء المعنفات، أن النسبة الأكبر من النساء المعنفات في دولة الإمارات العربية المتحدة هن من المتزوجات، وعادة يكون العنف من طرف الزوج، والسبب

يقع غالبًا في المفاهيم المجتمعية لقوامة الرجل على المرأة، وتنشئة الولد والبنت في البيت على التفريق بينهما، فما هو مسموح للولد، غير مسموح به للبنت، والرد دائمًا لأنه الولد.. ذلك الرد الذي يرسخ في وجدان الولد أن قوته يستمدها من كونه الرجل، والمرأة هي الطرف الأضعف، والتي يجب أن تخضع لسيطرته.

إن ما يحزننا هو أن المرأة هي من تُربي الأبناء على ذلك.. حين نتوقف عن تلك التفرقة، ستنخفض معدلات العنف ضد المرأة المتزوجة، وقد تنتهي تمامًا، وما يزال الطريق طويلًا أمامنا لرفع الوعي بمفهوم العنف، وأنه لا يعني العنف الجسدي فقط، بل العنف له أشكال أخرى، أكثر قسوة وخطورة من العنف الجسدي، فهناك العنف الرمزي الذي قد لا ينتبه له الكثير، فنظرة غضب قد تحمل فيها تعنيفًا صامتًا، يؤدي إلى ألم نفسي في الطرف المعنَّف، وقد يفوق الآلام الجسدية، وتظل آثاره راسخة في وجدان الطرف المعنف، وقد تؤدي إلى تحولات نفسية سلبية. ولطالما ظلت النظرة القاصرة والمغلوطة عن المرأة، والتي تشكلت من خلال مفاهيم، تكونت عبر عصور مختلفة، كانت فيها المعطيات الثقافية والمعرفية مختلفة تمامًا عن العصر الحديث.. ظلت تطارد المرأة وقيمتها في المجتمع.

وهنا، لابد لنا نحن، المجتمع، أن نساعد الدولة في كل ما سنته من قوانين، وما تقدمه من جهود التوعية؛ من أجل التكامل النوعي ما بين الرجل والمرأة، لبناء مجتمع إماراتي متماسك قائم على العدل أولًا والمساواة ثانيًا، ويتلخص دورنا هنا في تغيير نمط التربية للأطفال،

والبـدء فـي تنمية مفاهيـم المسـاواة، وتحريم العنف بـكل معانيه ضد الطـرف الآخر فـي التربية للولـد والبنـت، والتخلص تمامًـا من كلمة «مسـموح له لأنه ولد، وأنتِ بنت». فهل يمكن لكل أم أن تمسح تلك الكلمة من قاموسها التربوي؛ من أجل مجتمع متناغم خالٍ من العنف؛ خاصة ضد المرأة؟

العالـم يحتفل فـي 25 نوفمبر، من كل عام، باليـوم الدولي للقضاء على العنف ضد المرأة، وفي هذه المناسـبة، أتطلع إلى أن نحقق العام القادم شعارًا، أدعو جميع المؤسسات الحكومية ومؤسسات المجتمع المدنـي والمجتمـع بـكل مكوناتـه إلـى تبنيـه وهو «مجتمـع إماراتـي بـلا عنـف».. وأنا كلـي ثقة من أننـا قادرون علـى تحقيق ذلـك فعليًا؛ فالوعي المجتمعي في الإمارات ينمو ويتسارع كل يوم.

جريدة الاتحاد – 25 نوفمبر 2019

السؤال والإجابة.. تلك المسافة إلى الغد

هل تعرضت لسؤال من طفلك يومًا ما (كيف يبدو الله؟ وأين هو؟ وكيف وُلدت؟ لماذا أنا مختلف عن أختي؟) إلى آخر تلك الأسئلة الصعبة، فبم أجبت؟

تتعدد أنماط الآباء حين يجيبون عن هذه الأسئلة، وغيرها من الأسئلة الفلسفية العميقة، التي تنطقها فطرة الطفل.. قبل أن أتطرق لتلك الأنماط، دعوني أمُر على نقطة مهمة، وهي (فطرة السؤال)، التي خُلق عليها الإنسان.. الطفل عندما يبدأ الكلام، يتطلع إلى العالم من خلال تلك الدلالات، التي تتكون في وجدانه رويـدًا للكلمات، التي يتعلمها من المحيط الذي يعيش فيه.. وحين تتشكل الدلالات في ذهنه، يبدأ في طرح السؤال تلو الآخر في محاولة، تحاكي محاولة الإنسان الأول في فهم الحياة، فلولا فلسفة السؤال ما وصلنا للعلم، والمعرفة، والتكنولوجيا والحضارة الحديثة؛ لذلك حين نُغلق العقل بمحاذير الغيب والهروب من طَرْقِ أبواب المعرفة، سنبقى في مكاننا، بينما يتحرك الآخرون.. تلك كانت ببساطة، ودون تنظيرات، أزمة تأخر المجتمعات العربية والإسلامية، فحين غابت شمس السؤال غابت الحضارة.

حين يطرح الأبناء الأسـئلة، نشـاهد عدة أنماط مـن الإجابات من الآباء:

النمط الأول، يكون رده عنيفًا وقاسيًا يدعوه للصمت، وأنه ليس من اللائـق أن يسـأل مثل تلك الأسـئلة.. إلخ، وقد يتهور بعـض الآباء إلى استخدام العنف البدني. ما هذه القسوة التي نُلقي فيها أبناءنا؟! نضعهم في دائرة التعنيف، لمجرد طرحهم لسـؤال أملته عليهم الفطرة، فيرتبط السـؤال في ذهنية الطفل الناشـئة بالعقاب، وربطنا كذلك بين السـؤال وسوء السلوك، منذ اللحظة الأولى التي يتفتح فيها ذهنه على الحياة.

النمـط الثاني، يلجأ بعض الآباء إلـى عدم الإجابة بصورة صحيحة علـى الطفل والمحـاورة والمـداورة، التي لا تعطـي أي إجابة، وتزيد الحيرة في نفس الطفل، التي تدفعه للجوء إلى طرح تلك الأسئلة على منابـع أخـرى للإجابات، قد يجـد فيها إجابات تشـكل وعيه في اتجاه خاطئ، وبذلك نزرع في وجدانه بذرة المراوغة، دون أن ندري لمجرد الهـروب من سـؤال، كان يمكن أن نجيب عنـه، ولكنه ميراث الخوف الذي ترسخ في يقين الآباء، منذ طفولتهم وينقلونه لأبنائهم.

النمـط الثالث هو النمط الذي يدفع طفله للبحث وراء الإجابة، بل يشاركه البحث حتى لو كان يعلم الإجابة، فلا ينهره، بل يأخذ بيديه نحو الإجابات المنطقية، التي يتقبلها عقل الطفل، ويروي عطشه المعرفي، وتُخلق فيه الرغبة في مزيد من الأسئلة، التي تكون مع كل سؤال جديد يطرحـه الطفل بمثابة وضـع حجر جديد في بناء معرفته.. وهكذا يضع

هـذا النمط الأسـاس القوي لبنـاء الشـخصية المعرفية للطفـل، فيكبر وهو لا يخشـى السـؤال ولا الإجابات، وتصبح المعرفة والبحث وراء الجديـد والتطور طريقه نحو بناء مسـتقبله العلمي والعملي والفكري، فنكتسـب عقـلًا ناقـدًا واعيًا، يبني حضـارة ولا يعيش علـى منتوجات الحضارات الأخرى، التي صنعتها حرية السؤال.

حين ننادي بأن تكون الفلسـفة جزءًا من العملية التعليمية في دولة الإمـارات، فإننـا لا نتحـدث عـن تاريـخ الفلسـفة ودراسـة المدارس الفلسـفية فقط، بـل الأهم هو بناء عقـل ناقد يفكر بآلية فلسـفية ناقدة، تصنع فلسـفتها الخاصـة، وعقول تبحـث عن الأسـئلة.. وحين تصل إلى الإجابات تولد أسـئلة أخرى.. فإجابـات أخرى.. فرصيد معارف ينمو ويتطور، ويعتمد على مخرجات عقول أبنائنا وشـبابنا؛ لتكون لنا شـخصيتنا الثقافية الحداثية، ولا نعتمد فقط علـى خصوصيتنا الثقافية الموروثة، بل ندمج ما بين الموروث والحداثي؛ لتكون لنا شـخصيتنا المتميـزة، ومدارسـنا الفكريـة والفلسـفية، التي تسـير مـع العالم نحو حضارة بشرية واحدة.

إن حركة التاريخ بطيئة، ولكنها لا ترحم من تركها للآخرين وعاش على نتاج أفكارهم، وترك عقله ليصدأ من الصمت والسكون والتسليم وعدم البحث وراء الأسـئلة، وإدراك الإجابـات وبناء رصيد خاص به مـن العلم والفكر والتكنولوجيا والإبداع؛ فالمعرفة تبقى وتنمو وتقود الحضارة القادمة.

علِّموا أولادكـم كيف يفكرون بصورة نقديـة، ويحللون المعارف ويعيدون إنتاج الفكر من جديد، لا كيف يحفظون ويحفظون وينقلون مـا يردده الآخرون؛ حتـى لا تتكلس عقولهم على مـا حفظوه ورددوه وسـلموا به كمعرفـة مطلقة.. علِّموا أولادكـم أن العالم يتغير ويتطور، وأننـا لابد أن نتغير ونتطور؛ حتى تنمو وتكبر قيمتنا في صنع الحضارة البشرية الحديثة.

جريدة الاتحاد – 20 يناير 2020

الكلمة محبة

عند اقتراب نهاية عام وبداية عام جديد، يمتلئ الفضاء الإليكتروني بالملايين من التغريدات، التي تحمل كثيرًا من المشاعر الإنسانية المتباينة والمتعددة، التي تعبر عن وجدان وثقافة من يكتبها، وأحيانًا تحمل تجارب ذاتية تعكس على التغريدات كنيتها.. عن جولتي مبحرة في تلك التغريدات والتهنئات، توقفت عند تغريدة بقلم واحدة من الكاتبات العربيات المتميزات واللامعات في سماء الإبداع والثقافة والمعرفة، جاء في مضمونها أن هناك اختلافًا في التهنئة بين الفقير وكبار القوم، وأن تهنئة المثقفين لكبار القوم فيها انتقاص من كرامة المهنئين.. وهنا شعرت بصدمة أن يكتب هذا الكلام، ويطلقها على التعميم واحدة من صناع الوعي في ثقافتنا العربية.. كيف يمكن أن نشكل حالة من اللاتمييز الطبقي في المجتمع.. تذكرت ذلك الإحساس الذي لازمني فتره من الزمن، وهو (أن مقتدر الحال لا يشعر بمن هو أقل وضعًا منه) وأننا لا بد من محاربته والقضاء عليه، ليس إلا لأنه في وضع أفضل.

أجد أن أكثر قصص الأطفال تأخذ هذا المنحى، وأندهش لماذا نزرع في تلك العقول البريئة هذه المفاهيم الطبقية، التي تغرس فيهم

بـذرة الشـعور بالتمايز الطبقـي بين النـاس، لمجرد أن هنـاك من هو مقتدر، ومن هو أقل منه؟! بالتأكيد هناك معاناة في بعض المجتمعات التـي يفرز واقع معيشـتها مثل هذا التمايز، ولكننا ننسـى دائمًا أننا في النهاية بشـر، والنفوس النقية نجدها في كل الطبقات الإنسانية، مثلما نجد أيضًا النفوس السيئة.. لقد كنت أتوقع أن باب مثل هذه القصص قـد أغلـق؛ نتيجة لما أصاب الحيـاة من تطور وتزايـد الوعي والثقافة فـي المجتمعـات، وانفتـاح العالـم علـى بعضـه من خلال شـبكات الإنترنت.

المؤلم عندما يأتي من يفرز الناس حتى في التهنئة بالعيد، الذي هو لجميع البشـرية؛ إذ إنها المحبة والهدف المشترك للجميع لكل البشر، لا للفقير أو كبار القوم فحسـب.. إننا شـركاء في الإنسـانية.. والمحبة لا تفرز حسب المعتقد والوضع الاجتماعي.. إننا نتساوى حين نتألم، ونتسـاوى عندما نفـرح، وعندما نضحـك، وعندما نتحـدث، وعندما نـأكل، وعندمـا نصلي.. وحيـن نعيش علاقة إنسـانية، فإننـا لا نبحث عـن التوافـق الطبقي، بقـدر ما نبحث عـن التوافق الإنسـاني والثقافي والأخلاقـي.. تلـك هـي التوافقات التـي تجمعنا جميعًا نحن البشـر، الذين نعيش على الأرض نفسها وتحت السماء نفسها.

دعونـا لا نحمِّل أجيالنـا القادمة تلك المفاهيـم المخبوءة في تلك القصـص، التـي تفرزنا في تصانيـف طبقية، وكلمات بسـيطة من كبار المثقفين الذين يشـكلون وعي الشباب تحمل فيها مثل تلك المفاهيم،

فنـزرع بـذور الكراهيـة بيـن أفـراد المجتمـع الواحد بمجـرد كلمات بسـيطة، تكون بقوة الرصـاص، تقتل فينا بعض القيم الإنسـانية الراقية التي تجمعنا معًا.

ونحـن في عـام التسـامح، أدعو إلى مزيـد من التسـامح والتوافق والمحبة، بين البشر كافة؛ لنكون حقًّا شركاء في الإنسانية..

مجلة زهرة الخليج – 10 يناير 2019

رسالة للعابرين

مفتتح

قـد لا نلتقي مجـددًا، ولكن يجـب أن تعرف بأن هـذا العقل الذي اختارك لتكون له ندًّا، لم يعد كما كان.

قارئ حرفي..

تمضـي بنا الحيـاة متزاحمة بالبشـر، ندخل في كثير مـن العلاقات الإنسـانية بكل أشكالها، فمنها: العلاقات العابرة، والعلاقات الدائمة، والعلاقات التي يكتب لها الدوام فترة من الزمن، ثم تأتي لحظة تختفي فيهـا من حياتنا، ثـم تغادرنا مخبئة في حقيبة الرحيـل جزءًا من ذاكرتنا وذكرياتنا، وتترك فينا بقايا من حنين. على وقع تلك العلاقات، تتكون فينا أفكار وأحلام ومشاعر إنسانية متباينة ومتراكمة؛ فكل علاقة إنسانية نحياها تترك فينا أثرًا، إما: فرحًا أو وجعًا أو لا شيء، وكل رحيل حتمًا يتـرك وراءه حنينًا إلـى يوم، كانت فيه العقول تتلاقـى وتتحاور.. ذلك الحنين لا يكون إلا لهؤلاء الذين وشـموا على قلوبنا آثارهم الجميلة، وكأنهـا نقـوش أبديـة.. كلمـا عاودنا الحنيـن إليهم، أعدنا قـراءة تلك الآثـار المتوهجة دائمًـا بالذكريـات الجميلة، واسـتعدنا تلك الأفكار والمشاعر، الساكنة عند انحناءات حروفها.

يمـر بحياتنا أناس كثـر، ولكن يظل الأثر الحقيقي هو الباقي، الذي قـد يبقـى في حياتنـا بعضهم لزمـن طويل، ولكـن دون أن يتركـوا فينا أثرًا، وقد يمر بحياتنا أشـخاص في لقاء عابر، ولكنهم يتركون فينا أثرًا كبيـرًا يظـل باقيًا، لا تزيله ممحاة النسـيان مهما طـال الزمن؛ ذلك لأن هذا الأثر لم يكن أثرًا نفسـيًّا عابرًا، بل كان أثرًا عقليًّا، يحرك في العقل بعض هدوئه، ويمنحه الطاقة على إعادة ترتيب أوراقه الفكرية، ويفجر طاقات التساؤل فيه.. وبمجرد أن يرحل أولئك تاركين فينا تلك الحالة الفكريـة المضطربة، والتي تزيح الضباب عـن المخبوء فينا من أفكار، وتجلـو أبصارنا على مـا لم نكن ندركه قبل ذلك اللقـاء.. فإنني حينها أمسك بقلمي؛ لأنقش على جدران ذاكرتي رسالة لهؤلاء العابرين.

الرسالة

«يا أيها العابر افترقـت الدروب، وأصبحت وعرة لا يمكن المرور بها؛ لذلك سأختار دربًا آخر، عسى أن يكون أقل وعورة.. قد لا نلتقي، ولكن يقيني أن ليس من هم مثلي يعبرون هذا الطريق.. ستتعثر الأفكار ولن تصل، فدربي كانت تحمله الرياح حول الكون، لم يكن دربًا يسير عليه العابرون، بل هو درب يقرأه الآخرون.. الأفكار تصير إعصارًا يغير ملامح الدرب.. قد لا نلتقي، ولكن العقل سيحمل تلك الرياح وذلك الإعصار فتمطر السـماء فيضانات، تجرف دربي ناحية المجهول.. قد لا نلتقـي ولكـن هناك في آخر الفكـر أكوانًا، لم نطرق شـطآنها، ودربًا ينتظـر من يزيح الغبار عنه؛ لتوضح معالمه لنسـتطيع السـير عليه.. قد

لا نلتقي وسـط زحـام الدروب، فعليها كثير من الأفكار والشـخوص، التـي تحتاج إلى من يقـف معها ليحاورها.. وقـد لا نلتقي.. ولكن إن التقينا، دعنا نقف قليلًا عند انحناء الدرب لنتحاور».

مجلة زهرة الخليج – 13 فبراير 2019

صوتك جبل

نظل نمضي في طريقنا في الحياة، نبحث عن تلك الحقيقة التي من خلالها نرى ذاتنا.. نتعرف إلى ماهيتنا الإنسانية، وندرك من خلالها مدلولات الحياة والموجودات من حولنا، ونظل نفتش عنها بين عقول الباحثين والراحلين، عبر دروب المعرفة. وفي لحظة ما نتوقف، وكأن الزمن يغادرنا وتتجمد اللحظات، وفي مشهد حلمي يعلو صدى يغير منظور العالم في عيوني؛ لأجدني هنا حيث صحراء ممتدة عند حافتها.. يقف الجبل شامخًا راسيًا ويعلو الصدى فيقع في الروح دبيب صداه، ليفتح بوابات تخبئ خلفها محراب الحياة، يرتل الصدى ليخالط دهشة النور المتوهج من وسط بقعة ضوء، تولد من عمق عتمة الروح.. وهناك عند المحراب تقف الأحلام، تلوح لي، توقد في جذوة الأمل، وحينها أهرول إلى حيث يناديني الصوت، تلسع قدماي سخونة الرمال.. وعندما أقترب من الجبل، وتعلو همهمات الصخر، تبكي الغمامات التي خبأت الشمس عن صحراء الروح، فيتساقط المطر منهمرًا، فترتوي صحراء العمر العطشى.

يبقى صدى الباحثين عن الحقيقة حيًّا يتردد في طريق الحياة.. مئات الأصوات تحوطني، وتخترق عقلي وقلبي.. في خلفية المشهد أصوات تنبع من داخلي، هي صدى صخب الأفكار المتزاحمة في عقلي، تعكس

طنين المعرفة فيه، ويتمازج أحيانًا مع كل الأصوات الصاخبة ويصمت أحيانًا.. لكن يظل ذلك الصوت خافتًا لا أدركه، حتى أهرب إلى الجبل في لحظة ترتيل الروح، حين تجهدنا حالة البحث.. وهناك حيث قسوة الصخور وقوة الوجود، يأتيني صدى الجبل.. يردد «أنا الصوت.. أنا الجبل.. أنا أنت يا صانع الصوت بين صخوري فلتقترب»، أشعر بقرب الصوت يخرج مني كإعصار، يختلط بالمطر فيحفر في الجبل أخدودًا يتدفق منه الماء فيلين الجبل.. وفي وحدة السكون يتردد صوت الجبل.. تنكشف أمام روحي الحقيقة التي بحثت عنها طويلًا في سراديب ووديان الآخرين.. لأجدها مخبوءة في ذاتي، تحت ركام الدهشة بالآخر.. يتردد ذاك الصوت الذي أعاد إلى حياتي توازنها، حين أدركت معه أنني أحتوي الحقيقة مخبوءة عمرًا طويلًا.. نبحث عنها خارج حدودنا، ولكنها كانت تسكننا كمغارة تائهة في جبال أرواحنا، نعثر عليها في لحظة انصهار الزمن وانهيار الأصوات الأخرى؛ ليخرج صوتك نقيًّا واضحًا ينشدها.. بعد كل هذه السنوات من العمر، تتجرد تلك الحقيقة أمامي، حين نسيت كل الأصوات مستمعة إلى صدى صوتي عند الجبل.. لقد تاهت خطواتي أعوامًا طويلة عن ذلك الصدى، حتى وصلت إلى ظل الجبل أنشد الريح لتحملني إلى قمته.

يـا قارئ حرفـي.. فتش عـن صوت الحقيقـة في روحـك، قبل أن تفتـش عنها خـارج ذاتك فتظـل باحثا عنهـا إلى أن تأتيـك في خريف العمر.. استمعوا وأنصتوا إلى صدى ذواتكم أولًا.

مجلة زهرة الخليج – 15 مارس 2019

دع غمامك يمطر شغفًا

الشغف شعور معقد من الرغبة والحب والطاقة المتوالدة؛ من أجل تحقيق حلم ما؛ ليصبح هذا الشغف هدفًا نسعى إليه، يعطي الإنسان القوة والقدرة على البذل في سبيل شغفه.

هو ليس مجرد سلوك إنساني ضيق، بل طريقة حياة.. إن عاشها الإنسان بكل مفرداتها، تسللت إليه أجواء الفرح، وأفاضت على روحه أمطار السعادة فظلت البهجة ساكنة شغاف قلبه، ومورقة على أغصان روحه، التي قد تكبلها الحياة لحظة أن يفقد الإنسان شغفه.

يبقى الشغف هو مفتاح النجاح الذي يأخذ بنا إلى آفاق التفرد والتميز؛ فلكي تكون مبدعًا، لابد وأن تكون شغوفًا.

قد تمر بنا كثير من المواقف التي لا ندرك أنها تنبئ عن شغف ما؛ لأنها تبدو لنا مبعثرة، وأن عقلنا لا يقدر على احتوائها، فلا تشعر بحقيقة شغفك بشيء إلا في لحظة تكشف، مثل أنك تستمع إلى نوع معين من الموسيقى في خلفية يومك، دون أن تنصت بشغف.. وفي لحظة إنصات تشعر بها وكأنها تخطفك، فتشعر بحالة، تكتشف فيها مدى شغفك بتلك الموسيقى وتأثيرها عليك.

إنها بعثرة العقل التي تبقى على الشغف مخبوءًا في حالة من اللاوعي، ولكن في لحظة ما، يلملم العقل خيوط القلب فيدرك ذلك الشعور المختبئ؛ فحين تكون شغوفًا بشيء ما، فأنت تراه في كل الموجودات من حولك، فإن كنت شغوفًا بالكتاب، ستجد الكتاب ينعكس شكلًا ومضمونًا على كل حياتك، والكتاب هنا ليس إلّا واجهة للشغف بالمعرفة والقراءة.. تجد أنظارك تلتفت للمكتبات والكتب في كل مكان تذهب إليه، وتحتفظ دائمًا بكتاب بين يديك أو في سيارتك أو في حقيبتك، قد لا تقرأه في كل وقت، ولكن شعورك بوجود الكتاب قريبًا منك يعطيك إحساسًا بالبهجة والفرح والأمان. تتجه أفكارك دائمًا نحو ما أنت شغوف به إيجابية، ومهما كانت درجات الصعوبة والمخاطر التي قد تواجهها في سبيل الوصول إلى شغفك، فإنك لا تلين، وتظل متيقنًا من أنك ستصل إلى ما أنت شغوف به.

فتش في ذاتك.. حتمًا، هناك كثير من الأشياء أنت شغوف بها، ولكن هذا الشغف مبعثر في عقلك.. حاول أن تلامس قلبك، واعمل على تجميع خيوط مشاعرك؛ حتى تدرك ما الذي أنت به شغوف من خلال قياسك.

الشغف واقع نعيشه، يتحول من نقطة السكون إلى الحركة.. وبمجرد إدراك حالة الشغف، ستتحول إلى طاقة، تمنحك قوة عمل في سبيل تحقيق شغفك.

الشغف بما تعمل هو سر نجاحك والعمل هنا ليس بمعناه الضيق، بل هو كل ما تقوم بعمله في الحياة، ومهما كان صغيرًا ذلك الشغف،

فإنه يولد في داخلك الطاقة التي تجعلك تتفوق وتبدع، وتكون متميزًا، مهما كانت غرابة إبداعك، ويحول اللا معقول إلى معقول.. هنا تكمن كلمة السر، وهي «الشغف بما تفعل».

فـي لحظة ما مـن حياتك، قد تشـعر بأنك فقدت الشـغف، ومرت حياتك في صورة روتينية قاتلة، تسـكت فـي روحك صوت الإبداع.. فـي تلك اللحظـة، تحتاج أن توجد شـغفًا جديـدًا في حياتـك.. تعلم شـيئًا جديدًا.. تعلم لعبة جديدة.. استكشف في ذاتك موهبة جديدة.. جرِّب كل ما تفكر فيه.. قد تظل الأفكار والمشـاريع مبعثرة في ذاتك، ولكنـك عند التفكير، قد تحصل على شـغف جديـد.. اخرج من حالة الرتابة التي قد تعيش فيها.. لا تسـجن نفسك في نظامك اليومي.. غير أسلوبك حتى في أبسط الأشياء.. لا تركن إلى مناطق النور في طاقتك وقدراتـك، فكل منا لديه مناطق شـغف مختلفة ومخبـوءة تحت ركام الروتينية، اخرج من تلك النمطية، وسـاعتها سـتجد نفسـك محلقًا في سـماء النجاح، تغزل من خيوط الشـمس نجاحـات، تمطر بها حياتك وروحك؛ لتغتسل من سكون الملل.

مجلة زهرة الخليج – 27 أبريل 2019

التسامح.. حق الآخر في الحياة

منـذ اللحظـة الأولـى التي جاء فيها الإنسـان إلـى الأرض؛ ليعيش دهشته الأولى في مواجهة عالم الأرض، ذلك العالم الذي لم يكن هو سيده بعد، بل كان زائرًا يبحث عن مكان يحفر فيه جذور وجوده، ومع هذه الدهشـة.. كان الإنسـان ممنوحًـا للوعـي والإدراك والقدرة على التغيير والتطور، وتلك كانت ميزة الإنسان حين جاء الأرض وبدأ فيها رحلته مع الآخر.

الآخـر لا يختزل في الإنسـان الآخر، من زاويتـي الخاصة.. الآخر هـو كل ما في الحياة مـن موجودات غيري، والتسـامح هو إقرار بحق كل هـذه الموجـودات في الحيـاة، أن يكون لها وجودهـا الخاص في الأرض، وألا ننزع عنها كينونتها. فكما لي أنا الإنسان الحق في الحياة والوجـود علـى هذه الأرض، فكل آخر خارج حدودي له الحق نفسـه في هذه الحياة والوجود.

وحيـن تضيـق حلقـة الآخـر لتكـون قاصـرة علـى الإنسـان، فإن التسـامح هنا يخرج من إطار الحق في الحياة فقط إلى الحق في الحياة والسـلام.. إن التسامح هو القبول بتلك الحقيقة.. إننا لسنا وحدنا، بل إن هناك من يعيش معنا، يتنفس الهواء نفسـه، ويبحث عن منابع البقاء

والحياة.. لكن يظل الهدف الأسمى الذي يبحث عنه الجميع، هو أن نحيا في سلام.

ولكي نحيا في سلام، لابد أن نتخلى عن تلك الصراعات الواهية والوهمية التي يصنعها بعض الناس، متكئين على تلك التقسيمات العرقية الطائفية والدينية والثقافية؛ فبعض البشر يحب كثيرًا أن يصنف ويقسم كل شيء، حتى البشر فهذا أبيض وهذا أسود.. هذا ثري وهذا فقير.. هذا متدين وهذا ملحد.. هذا مسلم وهذا مسيحي، إلى آخر تلك التصنيفات، التي صارت مرجعية للبعض؛ لصنع الكراهية بدلًا من أن تكون مرجعية للمحبة والتلاقي والتفاهم والتكامل.

التسامح هو تجاوز لكل تلك الخطوط، والابتعاد بالعلاقات الإنسانية عن تشابكات التصنيفات السلبية، والرجوع إلى المشترك الأعظم، الذي نتشارك فيها جميعًا، وهو الإنسانية.. نختلف في بعض التفاصيل، ولكننا نتفق في القيمة الكبرى، في المنشأ الأعم؛ فكلنا بشر من أصل واحد، من قيمة واحدة، ومن بذرة واحدة نبتت في صحراء الأرض، فكانت شجرة وارفة تفترشها بصحاريها وغاباتها ووديانها، وعلى ضفاف الأنهر والبحار.

في الإمارات، نحيا نموذجًا في التعايش والتسامح وقبول الآخر، والإقرار بحق الآخر في الحياة؛ فنحن هنا وبين وديان وتلال الصحراء الممتدة ، يعيش بيننا مئات الجنسيات والثقافات البشرية المتعددة والمختلفة والمتباينة، في ظل حاضنة متسامحة قابلة للآخر، تلك

الحاضنـة التي صنعتها القيم الإنسـانية الموروثة، عبر تاريخ الإمارات منذ آلاف السـنين.. تلـك القيم التي كانت للصحـراء والبداوة كلمتها الأولى في غرسـها في نفوسنا، وظلت تتسع وتنمو، حتى صارت قيمًا أصيلة في نفس كل إماراتي، وكما كانت أرض الإمارات ملتقى ومعبرًا لكل الحضارات عبر التاريخ، صارت اليوم جامعة لها، وليسـت معبرًا فقـط. الكل يقبل الآخر، ويقر بحقه فـي الحياة هنا على هذه الصحراء الطيبة، الجوادة بكل محبة وعطاء.

التسـامح نور يتشـكل بين أصابعنا لننثره بين ربـوع العالم، وننادي معًا: «يا كل العالم، دعونا نمارس حقَّنا في الحياة.. تعالوا إلى السلام.. إلى التعايش.. لنحفر في تلك الصحراء الطيبة؛ ففي جوفها ما هو أغلى من البترول.. فيها الأخلاق والتسامح والعطاء.. إنها أرض التسامح.. أرض الإمارات».

الخاتمة
شذرات

1

فـي بعض اللحظات، كانت تسـتوقفني العلاقة ما بين الانسـحاب مـن معركة ما (فكريـة كانت أو حياتية أو سياسـية) والهزيمة.. واقعيًّا، هل الانسـحاب يعني الهزيمة؟ وهل تختلـف تلك العلاقة بينهما؛ بناء على أرض المعركة التي تدور فيها؟

2

سـنرحل كثيرًا، وتطـول محطـات الرحيل.. نرحل ونحـن مثقلين بوجع الفراق، نرحل وأجزاء منّا تئن تحت ركام النسيان.

تتباعـد بنـا محطـات الرحيل، ويظل السـؤال هل نعود؟ أم يسـتمر الرحيل إلى العوالم المختلفة، ونبقى فيها بلا عودة؟...

هنـاك رحيـل مكتوب فيه علـى حوائط أقدارنـا أننا يومًا سـنعود.. وهنـاك رحيـل يبقينا مجرد ذكرى فـي دفتر الحنين.. إنـه رحيل الروح عـن الجسـد، ورحيل المحبة عن القلوب.. هـو رحيل لا نعود فيه إلى محطتنا الأولى.. إنه رحيل أبدي موجع.

3

عندما تمطر عليك الحياة بكل العواصف والأعاصير، وتقف أمامها حائرًا مابين الثبات والاختباء في دهاليز الذاكرة وحين تدرك أنها أعاصير تقتلع جذورًا نبتت في أرض غير صالحة للحياة، تنزف وجعًا على امتداد السماء.. حينها يأتيك صوت من تحت قدميك: اثبت فجذورك أقوى، وأرضك خصبة بالمحبة والعطاء.

4

بين كل الأحلام التي يعيشها الإنسان، يظل الحلم الأكبر هو أن يحيا في سلام.. سلام مع الذات.. وسلام مع الآخر.. ذلك الحلم الذي إن تحقق، تحققت وراءه كل أحلام الإنسان، لنتعلم كيف نعيش ذلك السلام.

5

هناك أماكن تحوي النور، وننتظر أن يشاركنا فيه شخص آخر، يحمل ما نحمله في أحلامنا.. ولكن حين يحضر بعد طول انتظار، نجد النور وقد رحل، وبقيت ظلاله خفية في الروح.

هل قست الأماكن فخبأت النور؟ أم أنه النور الذي رحل إلى مكان آخر؟ أم تراها هي الروح، التي خذلها الحلم وصار سرابًا؟

6

الحيـاة تمضي بنا.. نلاقـي في محطاتها أحبـة وأصدقاء ومعارف، بعضهم يسـتمر معنا طوال العمر.. يعيشـون جميع محطاتنا، وبعضهم نلقاهم في محطة ويغادرونا في محطة تالية، وبعضهم نصادفهم لحظة التوقـف، ويلوحـون لنا من بعيد لحظة مغادرتنـا تلك المحطة، وهناك عابـرون نلاقيهم في محطة من العمر، ثـم يرحلون، ولكن يظل أثرهم فينـا بعمـق عمرنـا كله، بمـا مضى وبمـا هـو آت، يحدثون فـي حياتنا تحولات واسعة.. وكأنهم أقمار تنير لنا طريق الحياة.

7

صباح النور النابض بين كفوف الكلمات، كطفل يندهش في لحظاته الأولى، ثم يحول تلك الدهشـة إلى تسـاؤلات.. ثم ينضج ليحاول أن يجيب عن تلك التساؤلات.. ثم تسكنه الحكمة، فيجد الإجابات فتزيد حيرتـه، فدائمًـا تدفعنـا الإجابات إلـى الإدراك، ويدفعنـا الإدراك إلى مزيد من الدهشـة، التي تخلق فينا مزيدًا مـن الإجابات والإدراكات.. فيصبـح هـذا الطفل حكيمًا.. فالحكمة أن ترى الكون بدهشـة الطفل، وعقل الفيلسـوف، وروح العارف، وألا توقفنا الإجابات عن مزيد من التسـاؤلات.. الحكمة ليسـت هي المعرفة، بل هي الدهشة والتساؤل والإدراك، ثم مزيد ومزيد من الأسئلة.

8

مُر بي بسلام

كأنك في حضرة الصلاة!!..

كلما حاولتُ الرحيل

تشتعل في

روحي الحرائق

احذر

قد يطول الرحيل

وتنذر السماء بحجب الغمام

ويحترق الكون

وتنطفئ الروح

ويغيب السلام

9

تمضي رحلتنا عبر صحراء الأيام القاحلة.. نرتحل إلى كل زوايا الكون، نبحث عن نقطة ماء لنروي بها صحراءنا الصامتة؛ لتنبت صخب الحياة.. ولكن تبقى قسوة الصمت، تغطي الرمال على امتداد الروح.. كم أنت قاسيةٌ أيتها الأرض.

10

صباح يسكنه الانتظار.. ثمة انتظار يسكن حياتنا.. انتظار لفرح ما.. لدهشة ما.. لفكرة ما..الانتظار يظل قيمة تسكننا دائمًا.. نفعل وننتظر رد الفعل.. نحكي وننتظر الدهشة.. نقرأ أو ننتظر الفكرة.. إنه كل سلوك نفعله يدور بنا عند تخوم الانتظار.. نحن دائمًا في حالة انتظار الذي يتشكل في فجر الغد؛ ليظل نورًا نهتدي به في رحلتنا التالية.

11

لك السلام أيتها المرأة يا منبت المحبة ونور السعادة، أمًّا وأختًا وزوجة وابنة..كيف يمكن لإنسان يحمل قلبًا صافيًا وروحًا سليمًا أن يمارس عنفًا ضدك.. كيف يمكن أن يكون عقلًا واعيًا، وهو يدفعك نحو البقاء في ظله، فيحرم العالم من نور عقلك الواعي.. سلام عليك أيتها البهية والحرة؛ حيثما كنت في كل مكان في العالم.

12

كم كانت لرائحة الحبر رونقها، حين تختلط بالكلمات العابرة لحكايا القلوب المتحابة، عندما كانت الرسائل حبرًا وورقًا وطابع بريد.. واليوم ما أسرع ما نتواصل عبر الرسائل التكنولوجية بوسائلها المختلفة، فقد اختصرنا كثيرًا من الوقت، ولكننا فقدنا كثيرًا من دفء الواقع ورائحة الحبر.

13

لا تتغير المجتمعات إلا إذا أعادت النظر في موروثها الفكري، في ضـوء قواعد المنهج القيمي الإنسـاني؛ حتى نبنـي مجتمعًا قادرًا على تغييـر كل مـا هو غير إنسـاني.. فإذا فشـلت في تحقيق ذلـك، فإنها لن تجني إلا تراجعًا حضاريًّا.

المحتويات

إهداء 5

المقدمة 7

الفصل الأول – من أجل الهوية

هويتنا الإماراتية.. قوة البقاء 11

مجلس صيانة الحضارة 15

الأبواب المغلقة 21

الثابت والمتحول في فضاء القيم 27

الموروث.. الحداثة والأمـن المجتمعي 33

كان العقل.. ثم كانت الحياة 37

ثقوب في جدار الهوية 41

ترويض المستحيل 45

الفصل الثاني – القراءة والتعليم

نقرأ لندرك.. ونكتب لنُدرَك 47

2016 عام القراءة..وماذا بعد؟ 51

الخروج من الفصل 55
هوامش على دفتر عام 2016..... 59
الكتاب وصراع الدهشة والبقاء 65
التعليم.. ومئوية الإمارات 2071 71
القراءة حرية 75
6 دقائـق.. قليل من الوقت.. كثير من الحيـاة 79
كن حرًا 83

الباب الثالث- هموم ثقافية

جناحان للتحليق في سماء المعرفة 89
الزمن المأزوم والوعي 93
أفكاري بعيدة عنـك؟!.. إذًا دعني أقرِّبهـا لك 97
الثقافة والمثقف والتباس المفهوم 101
الفجوة بين المثقف والمجتمع 105
المفاهيم المغلوطة آفة العقول 109

الباب الرابع- قضايا مجتمعية

انعكاسات.. 115
سلام عليك أيتها الإنسانية 119
الحِجاج والخروج إلى المستقبل 123

المرأة والعنف.. شـرخ في جدار المجتمـع 129
السـؤال والإجابة.. تلك المسـافة إلى الغد 133
الكلمة محبة 137
رسالة للعابرين 141
صوتك جبل 145
دع غمامك يمطر شغفًا 147
التسامح.. حق الآخر في الحياة 151
الخاتمة شـذرات 155

***